د. محمد عمارة

الإسلام والحرب الدينية

مكتبة الشروق الدولية

الإسلام
والحرب الدينية

الطبعة الأولى لمكتبة الشروق الدولية

١٤٢٥هـ ـــ ٢٠٠٤م



٩ شارع السعادة ـ أبراج عثمان ـ روكسى ـ القاهرة

تليفون وفاكس: ٤٥٠١٢٢٨ ـ ٤٥٠١٢٢٩ ـ ٢٥٦٥٩٣٩

Email: < shoroukintl @ hotmail. com >

< shoroukintl @ yahoo.com >

الإسلام
والحرب الدينية

د. محمد عمارة





تمهيد

لأسباب كثيرة، كان ولايزال وطننا العربى وعالمنا الإسلامى مستهدفين من أعداء كثيرين.. تعاقبت القرون، واختلفت النظم، وتنوعت الحضارات، وتغايرت الملابسات، ومع ذلك بقى هذا الوطن مرمى للأطماع المتحدية، والتحديات الطامع أصحابها فى احتوائه حضاريًا، وسحقه قوميًا، وتحويله إلى «هامش» لحضارتهم الغازية، وذلك حتى يتأبد نهبهم وسلبهم لخيرات هذا الوطن الكبير[1]...

ولذلك.. فلقد كان ولا يزال قدراً على أبناء هذه الأمة، إن هم أرادوا حماية وطنهم، وتحقيق أحلامهم فى أن يصبح «جنة» دنياهم، أن يكونوا فى «رباط» دائم، و«استنفار» مستمر، ويقظة لا تعرف الاسترخاء!... فأمام التحديات العاتية والدائمة لا أمن ولا أمان لهذا الوطن إلا إذا عاش فى ظلال السيوف!...

(١) لتفصيل أسباب هذه التحديات، واكتشاف القانون الذى حكم صراع أمتنا ضدها انظر كتابنا [العرب والتحدى] طبعة سلسلة «عالم المعرفة» - الكويت - مايو سنة ١٩٨٠م.

وصدق رسول الله ﷺ، عندما خاطب أمتنا فقال: «**اعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف**»[1]. . فإذا ضمنت ظلال السيوف العربية الإسلامية لإنساننا «جنة» دنياه، ضمن له ربه، سبحانه، «جنة» آخرته! . . فالدنيا هى طريق الآخرة. . وصلاح الآخرة والأديان مرهون بصلاح الدنيا والأبدان والأوطان؟! . .

ومن هنا، ولهذه الخصوصيات التى جعلت وطننا هدفًا للتحديات العاتية، والدائمة، كان «للجهاد» فى فكر أمتنا، الدينى والحضارى، ذلك المكان العالى والمقام الرفيع. . وناهيك بفكر يجعل «الجهاد» خصوصية لهذه الأمة، هى «رهبانيتها» التى تتقرب بها إلى الله فيقول رسولها الكريم، عليه الصلاة والسلام: إن «**لكل نبى رهبانية، ورهبانية هذه الأمة الجهاد فى سبيل الله**»[2]. . كما يجعله «سياحتها» التى تجدد بها شبابها وحيويتها، فيقول الحديث الشريف: «**إن سياحة أمتى الجهاد فى سبيل الله**»[3].

ففى «الجهاد» الضمان الوحيد والأكيد لكى يكون لهذه الأمة «جنة» فى الدنيا، و«جنة» فى الآخرة. . وفى هذا «الجهاد» «رهبانية» هذه الأمة «وتدينها» تتقرب به إلى الله، وأيضًا «سياحتها» التى تجدد بها حيوية النفس وطاقات الإبداع! .

---

(١) رواه البخارى ومسلم وأبو داود.

(٢) رواه أحمد بن حنبل.

(٣) رواه أبو داود.

و«الجهاد»، كواحد من مفردات لغتنا العربية، مصطلح واسع وفضفاض، فهو يعنى: «استفراغ الوسع وبذل الجهد فى مدافعة الأعداء»، على تعدد فى الميادين التى يبذل فيها الإنسان وسعه وجهده، وتنوع واختلاف فى نوعية هؤلاء الأعداء.. فمن الفكر، إلى الكسب المادى، إلى الميادين المتعددة للقتال ـ ومن الأعداء الظاهرين، إلى مجاهدة النفس، إلى مغالبة وسوسة الشياطين.. كلها ميادين لألوان وأنواع من «الجهاد»!..

ولذلك وجدنا لغتنا العربية تستخدم مصطلحات مثل [الحرب] للدلالة، بشكل مباشر، على «الصراع المسلح» ضد الأعداء.. ففى القرآن الكريم:

﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد: ٤].

وفى الحديث الشريف يقول الصحابى الجليل عبادة بن الصامت ـ وهو أحد نقباء الأنصار الاثنى عشر الذين تأسست ببيعتهم للرسول ﷺ، فى العقبة الدولة العربية الإسلامية الأولى ـ يقول: «بايعنا رسول الله ﷺ بيعة الحرب.. على السمع والطاعة، عسرنا ويسرنا، ومنشطنا

ومكرهنا، ولا ننازع فى الأمر أهله، وأن نقول بالحق حيثما كنا، ولا نخاف فى الله لومة لائم»[1].

فإذا كان مراد لغتنا العربية هو الحديث الأكثر مباشرة عن موضوعات «الصراع المسلح» كان مصطلح «القتال» هو أداة التعبير ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (١٩٠) وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ (١٩١) فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٩٢) وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠ ـ ١٩٣].

﴿فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ٥].

إلى آخر الآيات التى ورد فيها مصطلح «القتال» . .

أما مصطلح «الجهاد» فكما يراد به التعبير عن عمليات «الصراع المسلح» يراد به، فى أحيان كثيرة، بذل الجهد واستفراغ الوسع فى ميادين

---

(١) رواه أحمد بن حنبل .

أخرى ومهام مختلفة. . ففى الأحاديث النبوية نقرأ: «**الحج جهاد، والعمرة تطوع**»[1]. . و«**الحج جهاد كل ضعيف**»[2]! . .

وعندما أتى رجل إلى النبى ﷺ، يستأذنه فى «الجهاد»، بمعنى «القتال»، سأله الرسول: «**أحى والداك؟**».

ـ قال: نعم.

ـ قال: **ففيهما فجاهد**»[3]! . .

كما نجد مصطلح «الجهاد» شاملاً الإبداع الأدبى فى الشعر الذى تصوغه قرائح الشعراء المسلمين، أولئك الذين انتصروا بشعرهم للإسلام وأهله من شعراء الشرك الذين اتبعهم الغاوون، عندما جعلهم الشرك فى واد يهيمون! . . فعندما أنزل الله فى شعراء الشرك قوله:

﴿ **وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ (٢٢٤) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ (٢٢٥) وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ** ﴾ [الشعراء: ٢٢٤ ـ ٢٢٦].

جاء الشاعر الصحابى كعب بن مالك [٥٠هـ ـ ٦٧٠م] إلى رسول الله، ﷺ، سائلاً «إن الله، تبارك وتعالى، قد أنزل فى الشعر ما قد علمت، وكيف ترى فيه؟ . .

---

(١) رواه ابن ماجة.

(٢) رواه النسائى وابن ماجة وأحمد بن حنبل.

(٣) رواه البخارى ومسلم وأبو داود وابن حنبل.

ـ فقال النبي ﷺ : «**إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه**»[1] ! . .

هكذا نجد التعبير في لغتنا العربية عن «فعل الصراع المسلح» بمصطلح «القتال» إذا كان القصد إلى التعبير الأكثر مباشرة، وبمصطلح «الحرب» إذا كان التعبير مباشراً . . وبمصطلح «الجهاد» إذا كان المراد بذل الجهد واستفراغ الوسع في مقاومة الأعداء، قتالاً كانت المجاهدة أم غير قتال . .

ومع ذلك فلقد حظى مصطلح «الجهاد» بشيوع في الفكر الإسلامي جعل الكثيرين يحسبون أنه الأولى والأخص في التعبير من مصطلحي «الحرب» و«القتال»، فعقدت مباحث «القتال» وفصوله دائماً وأبداً، تحت عنوان : «الجهاد» ! . . .

* * *

---

(١) رواه أحمد بن حنبل .

المسلمون والجهاد المسلح

في البدء، وخلال السنوات الثلاث عشرة التي أمضاها الرسول ﷺ ، بمكة داعياً إلى الدين الجديد، لم تكن «الدولة» الإسلامية هدفاً من أهداف الرسول، ذلك أن بناء «الدولة» ليس ركناً من أركان الدين، ولا هو بالقضية الدينية التي جاء بها الوحي إلى رسول الله.. ولكنها نشأت بعد أن استفرغ الرسول وصحبه جهدهم السلمي، كجماعة مؤمنة، في دعوة مشركي قريش إلى التدين بالإسلام. فلقد تجاوز المشركون موقع «الرفض» للإسلام إلى حيث أمعنوا في إيذاء المسلمين وتعذيبهم، فضلاً عن سلبهم حرية من آمن في أن يدعو إلى دينه الجديد، الأمر الذي جعل الرسول ﷺ ، يجدُّ في السعي كي يخرج بالإيمان والمؤمنين من «مرحلة الاستضعاف»، وذلك بهجرة بعض المسلمين إلى الحبشة حيناً، وعرض دعوته على أهل «الطائف» حيناً آخر.. وأيضاً بعرض الإسلام على العرب القادمين إلى مكة حاجين إلى بيتها العتيق..

فلما أن فتح الله للإسلام قلوب نفر من عرب «يثرب» من الأوس والخزرج، كانت بيعتهم له «بالعقبة» على الإسلام. وعلى أن يهاجر إلى

بلدهم، فيقيم بها «السلطة» التى تحمى حرية الدعوة الإسلامية وتنهى «دور الاستضعاف» الذى عاشه المسلمون ثلاثة عشر عامًا. وبهذه البيعة ولدت «الدولة» العربية الإسلامية الأولى.

ولقد كان طبيعيًا مع ظروف «الاستضعاف» التى عاشها المسلمون بمكة قبل الهجرة إلى «يثرب» - [المدينة] - ألا يكون القتال أمرًا واردًا فى التكليف الإلهى لنبيه وللمؤمنين، تشهد بذلك الآيات والسور المكية للقرآن الكريم، ففيها نقرأ قول الله - سبحانه - للرسول ﷺ:

﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾

[المؤمنون: ٩٦].

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٣٣) وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤) وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٣ - ٣٥].

﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ (٢١) لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾

[الغاشية: ٢١ - ٢٢].

وحتى بالمدينة المنورة، ولحين من الدهر بعد هجرة الرسول ﷺ، والمؤمنين إليها، وقيام نواة «الدولة» العربية الإسلامية فيها، كانت آيات القرآن الكريم تؤكد على «الجهاد» غير القتالى فى الصراع بين المؤمنين

والمشركين، فلقد أصبح للإسلام كيان متميز، واتخذ هذا الكيان لنفسه من المدينة مجالاً حيويًا، غدت لأهله فيه حرية الدعوة إلى الدين الجديد.. ففي هذا المناخ، ورغم انتهاء مرحلة «الاستضعاف» بالنسبة للمسلمين، نجد الله ـ سبحانه ـ يوحي إلى رسوله ﷺ قوله تعالى:

﴿واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا ⑩ وذرني والمكذبين أولي النعمة ومهلهم قليلا﴾ [المزمل: ١٠ ـ ١١].

وحتى عندما كان اليهود يمارسون مع الرسول خلقهم العريق واللصيق، وهو نقض العهود وخيانة المواثيق، كان الوحي يتنزل من السماء فيقول:

﴿ فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به ولا تزال تطلع على خائنة منهم إلا قليلا منهم فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين﴾ [المائدة: ١٣].

لكن الهجرة، وقد أنهت «دور الاستضعاف»، نراها مصاحبة لتطور هام في أدوات الصراع «المأذون» بها، من الله ـ سبحانه ـ للمسلمين، ضد أعداء الدين الجديد.. فبها، وبالدولة التي أقاموها بالمدينة قد أصبح بالإمكان أن يتجاوزوا تلك المرحلة التي كانوا يواجهون فيها العنت «بالعفو» و«الصفح» و«الهجر الجميل»! ومن ثم فلقد أحل الله لهم النهوض إلى الصراع ضد أعدائهم، متخذين أدوات أشد وأدخل في باب

العنف من هذه الأدوات.. وعندما كان الرسول ﷺ، مهاجراً من مكة إلى المدينة، نزل الوحي بآيات تتحدث عن دور «التدافع» في انتصار الحق على الباطل، وحق المظلومين، الذين أخرجهم الظالمون من ديارهم، في الدخول إلى هذا الميدان ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ (٣٨) أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (٣٩) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾

[الحج: ٣٨ ـ ٤٠].

وقال المفسرون لهذه الآيات ـ التي صاحب نزولها تمام حدث الهجرة ـ إنها قد أعطت المسلمين «الإذن» في القتال.. وإن كان المتأمل في نصها والفقه لكلماتها لا يجد بها أكثر من الإذن والتوجيه إلى «الصراع» ضد الأعداء، أيًا كانت أدوات هذا الصراع، وأيًا كان مكانها من أدوات «القتال»!..

وفيما بين السنة الأولى من الهجرة والسنة السابعة، التي أعقبت صلح الحديبية والتي تمت فيها عمرة القضاء، في هذه السنوات السبع شهد المسلمون أكثر من عشرين غزوة، مارسوا القتال في عدد منها.. ومع ذلك، فلقد ظل قتالهم هذا، طوال هذه السنوات، محكومًا «بالإذن» الإلهي للمظلومين في أن يستخدموا أدوات «الصراع» في ردع الظالمين الذين أخرجوهم من الديار!.. فلما كانت السنة السابعة من الهجرة،

وتجهز المسلمون للسفر من المدينة قاصدين مكة لأداء عمرة القضاء، وفقاً لصلح الحديبية الذى أبرموه مع قريش فى عامهم المنصرم، توجس المسلمون خيفة من غدر المشركين بهم عند أدائهم لمناسك العمرة.. فهم سيدخلون معتمرين، وليس معهم من السلاح سوى سلاح المسافر.. ثم إن الوقت فى الأشهر الحرم التى لا يحل فيها القتال، والمكان هو الحرم الآمن الذى لا يجوز فيه قتال.. فما الضمان من غدر المشركين وأخذهم المسلمين على غرة فى هذا التوقيت وذلك المكان وتلك الملابسات؟!.

وأمام خشية المسلمين هذه من غدر المشركين ونقضهم عهد الحديبية، نزل وحى الله بآياته التى «تأمر» - بل إن شئت الدقة «تأذن» - «بالقتال»، إذا ما نقض المشركون العهد، وتطلب من المسلمين قتال أعدائهم المشركين، حتى ولو كان رد العدوان فى الشهر الحرام والبيت الحرام.

﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (١٩٠) وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ (١٩١) فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٩٢) وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَلا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ (١٩٣) الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠ - ١٩٤].

فأمام عدوان المشركين.. ونقضهم العهد.. واستحلالهم حرمة الشهر الحرام والبيت الحرام.. على المؤمنين قتال الذين أخرجوهم من ديارهم، واجتهدوا في فتنتهم عن دينهم، دونما تحرج من «الحرمات»، ذلك أن [الحرمات قصاص]، وفي القصاص حياة لأولي الألباب!..

بل وأكثر من ذلك.. فإننا عندما نتأمل آيات «القتال» في سورة «براءة» ـ التوبة ـ تلك التي يرجف بها المغرضون فيقولون إنها تشرع لنشر الإسلام بالسيف، وإنها لذلك قد خلت من «البسملة» حتى لا تفتتح بذكر «الرحمن الرحيم»؟! ـ حتى آيات القتال في هذه السورة نراها تأمر المسلمين بقتال من نقض العهد وغدر بالمواثيق، دون الذين استقاموا على عهدهم، رغم أنهم مشركون؟!.. فهي تشرع للفتح، حتى يعود المهاجرون الذين أخرجوا من ديارهم إلى تلك الديار.. وحتى ينال الناكثون للعهود ما يستحقون من تأديب.. وحتى تأمن الدعوة الإسلامية غدر هؤلاء الناكثين.. فما فيها من عنف مشروع لا علاقة له «بالعدوان» ولا بنشر «الدين» عن طريق «القتال»...

﴿بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ (١) فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ (٢) وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣) إِلَّا الَّذِينَ

عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم أحدا فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم إن الله يحب المتقين (٤) فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم (٥) وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون (٦) كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم إن الله يحب المتقين﴾

[التوبة: ١-٧]

. . . . ﴿وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون (١٢) ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم وهموا بإخراج الرسول وهم بدءوكم أول مرة أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين (١٣) قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين (١٤) ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء والله عليم حكيم﴾

[التوبة: ١٢ ـ ١٥].

ورغم أن المناسبة كانت محاطة بنضج الظروف السياسية لفتح المسلمين لمكة، وهو الفتح الذى يمثل «عودة» المهاجرين إلى الوطن الذى «أخرجوا»

منه قسراً وظلماً وعدواناً . . ورغم ما يمثله هذا «الفتح» من شرط ضروري لتأمين الدعوة الإسلامية وضمان حرية دعاتها في شبه الجزيرة ، بالقضاء على البؤرة المشركة المحركة للقوى المناوئة للدين الجديد . . رغم كل ذلك فلقد ظل الأمر الإلهي بالقتال ـ في سورة التوبة ـ محكوماً بالنهج الإسلامي الأصيل : أن لا عدوان إلا على المعتدين الظالمين الناكثين للعهود ! . . ولم يكن ذلك بالأمر الغريب على أهل دين رسم لهم دينهم ذلك النهج . . فلم يكن القتال الإسلامي غاية للإسلام ولا للمسلمين ، وإنما كان سبيلاً لكسر الطوق الظالم عن المستضعفين الذين يئنون تحت وطأة المشركين :

﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (٧٤) وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ[1] الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا (٧٥) الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء : ٧٤ ـ ٧٦] .

فهو قتال في سبيل الله ، ولتحرير المستضعفين ، يجابه به المسلمون الطاغوت ، الذي يعني الطغيان والعدوان والتطاول ومجاوزة الحدود . . ولم يكن ، بحال من الأحوال ، وما كان له أن يكون قتالاً لإدخال الناس

(١) المراد مكة ، قبل الفتح .

فى دين الإسلام، ولا سبيلاً لقهر القلوب على التدين بالدين الجديد..
ذلك أن العلاقة منبتة والصلة مقطوعة بين «الإيمان» وبين «الإكراه»، ومن
ثم فإنها منبتة ومقطوعة بين «القتال» وبين انتشار الإسلام.. فلم تكن
لغزوات الرسول  ، ولا لحروب المسلمين وفتوحاتهم تلك الصبغة
والفلسفة «الدينية»، التى تجعل نشر العقيدة هدفًا من أهداف الجهاد
الإسلامى وغاية من غايات القتال فى سبيل الله.

* * *

الإيمان.. والإكراه

فى الحديث عن سبيل الإنسان إلى تحصيل «الإيمان» الدينى، وهل من الممكن أن يكون «الإكراه» ـ الذى هو ثمرة طبيعية للحرب الدينية ـ سبيلاً من سبل تحصيل «الإيمان» الدينى؟ .. فى هذا الحديث تبرز لنا بدهيات عقلية لا يصح أن تغيب عن عقل باحث متأمل فى هذا الموضوع، بدهيات تتعلق بطبيعة «الإيمان» بالدين، ومن ثم بالسبل التى يمكن بها، دون غيرها، تحصيل هذا «الإيمان».

«فالإيمان».. هو تصديق بالقلب، أى يقين قلبى يستقر فى داخل الإنسان، أما الأعمال الظاهرة ـ ومنها الشعائر والعبادات ـ فإنها «إسلام» أى ترجمة وبيان لما فى قلب الإنسان، تتخذ صورة الطاعة والانقياد، وإسلام الوجه لرب الدين ـ سبحانه وتعالى ـ . وقد تكون هذه الطاعة مصنوعة ومصطنعة إذا خلا القلب من الإيمان الحقيقى، أى إذا افتقد التصديق البالغ درجة اليقين..

وما دام «الإيمان» تصديقًا قلبيًا يبلغ حد اليقين، وخافيًا عن الأعين، ومستعصيًا على رقابة الرقباء ورصد الراصدين، فإن حصوله وتحصيله،

بداهة، لا يمكن أن يتم إلا بالإقناع والاقتناع؛ ذلك لأن الإكراه والجبر والترهيب قد يثمر «إسلامًا» و«تسليمًا» وقد يؤدى إلى «نفاق»، بينما يظل القلب خاليًا من «التصديق اليقين»، أى خاليًا من الإيمان، ومن هنا كانت بداهة القرآن البسيطة والمعجزة معًا! عندما حدد الله فيه للرسول ﷺ، سبل الدعوة إلى سبيله فقال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]... فالناس، فى الفكر، طبقات متفاوتة.. منهم أهل النظر والتدبر والتأمل، ودعوة هؤلاء إلى الدين سبيلها (الحكمة) ـ وهو المصطلح العربى الإسلامى المرادف لمصطلح ـ (الفلسفة) ـ. ومنهم العامة والجمهور، ودعوتهم إلى الدين سبيلها (الموعظة) والأدلة الخطابية الوعظية التى تتوجه إلى المشاعر والقلوب. ومنهم أوساط يتوسطون بين أهل الحكمة وعامة الجمهور، وطريق الجدل هو المفيد فى إقناعهم واجتذابهم إلى سبيل الله.

وتحديد هذه الوسائل، كطرق وحيدة لتحصيل الإيمان، ينفى، بداهة أيضًا، أن يكون الإكراه ـ والقتال إكراه مسلح وعنيف ـ سبيلاً من سبل تحصيل الإيمان.. والقرآن الكريم يعبر عن هذه الحقيقة البدهية، فيقول تعالى: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

فهو يؤسس أمر الإيمان على الحرية والاختيار عند الإنسان، وينفي أن يكون القسر والجبر سبيلاً لتحصيله، حتى ولو كان هذا القسر والجبر من الله - سبحانه وتعالى - وهو القادر على كل شيء؛ لأنه يقول تعالى:

﴿ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين﴾[1] [يونس: ٩٩].

ونفى الله - سبحانه - أن يكون «الإكراه» سبيلاً لتحصيل «الإيمان» يسهم في تفسير طبيعة مهمة الرسول ﷺ، وطبيعة وسائله لنشر دين الإسلام، فهو «مذكِّر» بدين الله، وليس «بمصيطر» على القلوب حتى يكرهها على الإيمان ﴿فذكر إنما أنت مذكر (٢١) لست عليهم بمصيطر﴾

[الغاشية: ٢١ - ٢٢].

.. وفي هذه الآية «المحكمة»، التي لم يصبها «النسخ»، على الأصح، يقول الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده (١٢٦٦ - ١٣٢٣هـ ١٨٤٩ - ١٩٠٥م): «إنها تحدد الأمر الذي بعث الله لأجله نبيه محمد ﷺ، وهو تذكير الناس بما نسوه من أمر ربهم، فليس في سلطانه ﷺ، أن يخلق الاعتقاد فيهم، ولا من المفروض عليه أن يقوم رقيباً

---

(١) وانظر في هذا المعنى تفسير «الكشاف» للزمخشري. جـ١ ص ٣٨٧. طبعة بيروت «دار الفكر» مصورة عن طبعة الحلبي المصرية.

على قلوبهم، ولا مصيطراً، أي متسلطاً، عليهم.. فالقهر لا يحدث إيماناً، والإكراه لا أثر له في الدين..»[1].

والإسلام عندما ينبه، من خلال قرآنه الكريم، على أن الإكراه في الدين مرفوض؛ لأنه لا يمكن أن يثمر إيماناً يعتد به الله - سبحانه - فإنه يعلمنا - كما يرى الإمام محمد عبده - ضمن ما يعلمنا - حقيقتين مهمتين:

الأولى: أن ما شهده تاريخ انتشار الأديان - خاصة قبل ظهور الإسلام - من حروب أكرهت أقواماً على اعتناق الدين، هي نشاطات سياسية وحروب سياسية لا علاقة لها بالدين، حتى وإن رفع أصحابها أعلام الدين واستظلوا بألويته وراياته.. فليست هناك حروب دينية؛ لأن غايات الدين والإيمان بعقائده لا تتحقق بالإكراه - والحرب والقتال إكراه مسلح وعنيف - وما سمي بالحروب الدينية إن هو إلا نشاط سياسي وقتال سياسي، لا ديني.. «لقد كان معهوداً عند بعض الملل حمل الناس على الدخول في دينهم بالإكراه.. وهذه المسألة ألصق بالسياسة منها بالدين؛ لأن الإيمان - وهو أصل الدين وجوهره - عبارة عن إذعان النفس، ويستحيل أن يكون الإذعان بالإلزام والإكراه، وإنما يكون بالبيان والبرهان.. ومن هنا كانت آية: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ قاعدة كبرى من قواعد دين الإسلام وركناً عظيماً من أركان سياسته، فهو لا يجيز

---

(1) الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده جـ ٥ ص ٣٩٦. دراسة وتحقيق: دكتور محمد عمارة. طبعة بيروت - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - سنة ١٩٧٢م.

إكراه أحد على الدخول فيه، ولا يسمح لأحد أن يكره أحدًا من أهله على الخروج منه. . . ».

والثانية: أن الجهاد في سبيل الله - وهو أعم من القتال؛ لأنه يشمل «بذل ما في الوسع من القول والفعل» واحتمال المشقة بوجه عام، وبمختلف السبل - إن هذا الجهاد - والقتال منه بوجه خاص - على عكس ما يدعي البعض - ليس ركنًا من أركان الدين، بل وليس من جوهر الدين ومقاصده. . فالقتال ليس سبيلاً من سبل الدعوة إلى الدين، وهو لم ولن يكون أداة من أدوات تحصيل اليقين والتصديق القلبي، الذي هو «الإيمان»، وإنما هو - الجهاد القتالي - أداة دفاعية يستخدمها المسلمون لحماية حرية الدعوة والدعاة وحرية الاعتقاد إذا اعتدى عليها المعتدون. . «فالجهاد من الدين بهذا الاعتبار، أي أنه ليس من جوهره ومقاصده، وإنما هو سياج له، فهو أمر سياسي لازم له للضرورة، ولا التفات لما يهذي به العوام، ومعلموهم الطغام[1]؛ إذ يزعمون أن الدين قام بالسيف، وأن الجهاد مطلوب لذاته، والقرآن - في جملته وتفصيله - حجة عليهم. . »[2].

ونحن نستطيع أن نطمئن كل الاطمئنان إلى صياغة الإمام محمد عبده لهذه القضية. . قضية أن الجهاد - والقتال منه بخاصة - ليس دينًا؛ أي ليس ركنًا من أركان الدين، ولا ذا طبيعة وفلسفة دينية، ولا هو من

(١) الطغام - بفتح الطاء والغين - مفردها طغامة: الأراذل والحمقى.
(٢) الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده جـ٤ ص ٧٣٢ - ٧٣٣.

جوهر الدين ومقاصده، وإنما هو أمر سياسى، علاقته بالدين لا تتعدى علاقة السياج اللازم لحرية الدعوة إلى الدين وحرية الدعاة وحرية الاعتقاد.. علاقة هذا السياج بما فى داخله من شروط للحرية وأركان لحرية الدعوة والاعتقاد.. نستطيع أن نطمئن لهذه الصياغة، بل وأن نزداد اطمئنانًا، إذا نحن بحثنا عن أركان الإسلام فوجدناها خمسة: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.. وإقامة الصلاة.. وإيتاء الزكاة.. وصوم رمضان.. وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً.. فهى أركان خمسة، وليس فيها الجهاد ولا القتال[1]!..

وكذلك الحال إذا نحن بحثنا عن أركان الإيمان.. فهى ستة: الإيمان بالله.. والملائكة.. والكتب المنزلة على الرسل.. والتصديق بالرسل.. واليوم الآخر.. والتسليم بالقدر.. فهى أركان ستة، وليس فيها الجهاد ولا القتال!..

وكذلك الحال إذا نحن بحثنا عن أركان الإحسان.. تلك التى تلخصها عبارة: «**أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك!..**» وكما هو واضح، فليس فيها أيضاً ـ إشارة إلى الجهاد والقتال!..

وكذلك إذا نحن بحثنا عن أصول الإيمان.. وهى ثلاثة: الألوهية.. والنبوة.. واليوم الآخر.. وليس فيها الجهاد ولا القتال[2]!..

---

(١) ابن تيمية (منهاج السنة) جـ١ ص ٧٠ ـ ٧٢. طبعة القاهرة سنة ١٩٦٢م.

(٢) الغزالى (فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة) ص ١٥. طبعة القاهرة سنة ١٩٠٧م.

هكذا حدد الإسلام القضية . . فالإيمان تصديق ويقين قلبي لا سلطان لبشر عليه . . ومن ثم فإن السبيل إليه هو الإقناع والاقتناع، المتمثلان في الدعوة بالحكمة، والموعظة، والجدل . . ولا إكراه في الدين، ومن ثم فليس هناك قتال ديني ولا حرب دينية، اللهم إلا من حيث كونهما أداة سياسية يقف استخدامها عند حدود حماية الدعوة وحرية الدعاة إليها وحرية الاعتقاد بها من عدوان المعتدين .

أما أولئك الذين يجهدون أنفسهم ويجهدون الحقائق ـ النصوص ـ ليوهموا العامة أن القتال ركن من أركان الإسلام، لمجرد أن الله قد «كتبه» على المسلمين، مستخدماً الفعل «كتب» ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦] . وأنه سبحانه ـ قد استخدم ذات الفعل ـ «كتب» ـ في تقرير فرضية الأركان الإسلامية، قال تعالى :

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣] .

أما أولئك الذين يستندون إلى هذا الاتفاق في استخدام الفعل «كتب» قافزين إلى القول بأن في ذلك الدليل على أن «القتال، مثل الصلاة والصوم، من أركان الإسلام . .»[١] . . أما هؤلاء فإن «حجتهم»

---

(١) الإمام الشهيد حسن البنا (رسالة الجهاد) ص ٦٥ ـ ٦٦، طبعة القاهرة ـ ضمن مجموعة عنوانها «الجهاد في سبيل الله» سنة ١٩٧٧م .

لا تصمد حتى للنظرة الأولى في آيات القرآن الكريم.. ذلك أننا واجدون آيات القرآن تستخدم الفعل «كتب» في تبيان تشريع الله لأمور كثيرة، ليست كلها «أركانًا» بل ومنها ما ليس من «الفرائض» في شيء!!..

* «فالقصاص».. قد «كتبه» الله على المؤمنين.. ولم يقل أحد إنه من أركان الإسلام ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنثَى بِالأُنثَى﴾ [البقرة: ١٧٨].

* و«الوصية».. يوصي بها الميت، قد «كتبها» الله. ولم يقل أحد إنها ركن من أركان الإسلام.

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١٨٠].

* «وحقوق يتامى النساء».. «كتب» الله مراعاتها.. ولم يزعم زاعم أنها من أركان الإسلام.

﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللاَّتِي لا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَن تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا﴾ [النساء: ١٢٧].

فاستخدام الفعل «كتب» عند حديث القرآن الكريم عن «القتال» لا يمكن أن يدخل «القتال» ركنًا من أركان الإسلام، فيجعله «دينا» يتدين به

الإنسان.. ذلك أن علاقة «الدين» «بالوسائل والسبل» التى تقتضيها حماية دعوته وحرية دعاته، وإن لم تصل إلى درجة «المغايرة والانفصال»، فإنها لا ترقى إلى درجة «الوحدة والاتحاد»!..

إنه، كما قال الإمام محمد عبده: «ليس من جوهر الدين ولا من مقاصده، وإنما هو سياج له، وهو لذلك، أمر سياسى تقتضيه الضرورة.. ولا يطلب لذاته...» على عكس ما يهذى به العوام ومعلموهم الطغام؟!..



قتال الرسول ﷺ

ولقد كان قتال الرسول ﷺ ، والغزوات التى غزاها والحروب التى وجه إليها صحابته ، كانت كلها تطبيقًا لذلك القانون الإلهى ، والبديهى ، والعقلانى : لا إيمان عن طريق الإكراه ، والقتال والجهاد الحربى : سياسة ، وليس دينًا ، ولا مكان له فى دنيا الإسلام وعالم المسلمين إلا إذا اعتدى المعتدون على حرية الدعوة وأمن المؤمنين وحركة الدعاة ووطن المسلمين .

لقد مكث الرسول ﷺ ، بمكة ثلاث عشرة سنة يدعو أهلها إلى التوحيد الدينى ، فلم يجبه من أهلها إلا نفر قليل . . ولو تخيلنا وافترضنا أن أهل مكة وملأ قريش قد تركوا الرسول ﷺ وشأنه ، وخلوا بينه وبين دعوته الدينية ، وكفوا أذاهم عنه وعن أصحابه وأتباعه ، حتى مع بقائهم على شركهم ، لما كان هنالك قتال من الرسول ﷺ لهؤلاء المشركين ، ولما فرض الله وكتب على المسلمين القتال ؛ لأن حرية الدعوة مكفولة وأمن المسلمين مصان .

والقرآن الكريم عندما يعرض لقضية الحرب والقتال يؤكد هذه المقولة التى سقناها فى هذا الافتراض :

ففي البداية.. وبعد ما تعرض له المسلمون من أذى في عقيدتهم وفتنة عن دينهم واضطهاد تصاعد حتى اقتلعهم من وطنهم ـ مكة ـ وجعلهم يهاجرون إلى «يثرب» ـ (المدينة) ـ بعد أن هاجر منهم كثيرون إلى «الحبشة».. في البداية، وبعد أن هاجر الرسول ﷺ، أذن الله ـ مجرد إذن للمؤمنين في القتال.. وهو لم يأذن لهم في القتال كي يكون وسيلة لفرض العقيدة والإيمان؛ لأن ذلك ـ بالطبع والقطع ـ مستحيل، وإنما أذن لهم في ذلك سياسة يردون بها على الظلم الذي لحقهم، والذي تمثل في التضييق الشديد على دعوتهم الإلهية، والفتنة للمستضعفين منهم عن دينهم الجديد ـ والفتنة أشد من القتل ـ وأيضاً ـ وهذا هام ومهم ـ كحرب وطنية ضد أولئك الذين اقتلعوهم من ترابهم وديارهم، وأجبروهم على الهجرة من موطنهم الأصلي والمحبوب، مكة المكرمة.. ونحن نلحظ تركيز القرآن الكريم على هذا الجانب الوطني من جوانب الصراع المسلح الذي قام بين المسلمين والمشركين.. يذكره دائماً كسبب مهم من أسباب شرعية ومشروعية القتال، ويُذكِّرُ به المسلمين كي يثير حماسهم للقتال، بل ويستفزهم به ويستنفرهم بواسطته لملاقاة الأعداء الذين أخرجوهم من الديار وسلبوا منهم حقهم الطبيعي والمقدس في العيش بالوطن الذي ولدوا وشبوا وترعرعوا فيه!..

فعندما أذن الله ـ سبحانه ـ للمؤمنين في القتال كان إخراجهم من ديارهم ـ وهو قضيتهم الوطنية، بتعبيرنا الحديث ـ سبباً علل به القرآن الكريم هذا التطور الجديد المتمثل في الإذن بالقتال.. قال سبحانه:

﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (٣٩) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾[1]

[الحج: ٣٩ ـ ٤٠].

وعندما تطور الحال من «الإذن» في القتال إلى «الأمر» به جاء حديث القرآن الكريم، أيضًا، فوضع قضية المهاجرين الوطنية ـ وهي إخراجهم من ديارهم ـ سببًا لأمر الله إياهم بقتال الذين أخرجوهم من الديار.. فقال: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (١٩٠) وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ (١٩١) فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٩٠ ـ ١٩٢][2].

وعندما انتقل القرآن الكريم، في تشريعه للقتال، من «أمر» المؤمنين به إلى حيث جعله «فرضًا واجبًا» عليهم، استمر حديثه عن قضيتهم السياسية الوطنية ـ إخراجهم من ديارهم ـ كسبب يوجب عليهم ويفرض قتال الأعداء.. وفي ذلك قال الله ـ سبحانه ـ:

(١) وانظر القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) جـ ١٢ ص ٦٨ طبعة دار الكتب المصرية.

(٢) وانظر: (الجامع لأحكام القرآن) جـ ٢ ص ٣٤٧.

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾

[البقرة: ٢١٦ ـ ٢١٧][1]

.. ثم استمر ذلك مذهبًا للقرآن الكريم .. كلما حدَّث المسلمين عن القتال ودعاهم إليه واستنفرهم إلى خوض غماره كان حديثه إليهم عن إخراجهم من ديارهم كسبب للقتال وداعية تدعوهم إلى معاناة مشاقه وتقديم قربانه ودفع ضريبته .. وفي الوقت الذي التزم فيه ذلك لم يحدثهم مرة واحدة عن أن القتال طريق لنشر الدين بفرض الإيمان وغرسه فى القلوب، ولا على أنه عقاب للمشركين على عدم الدخول فى الدين الجديد! ..

فهو يحدث الرسول ﷺ، عن تآمر قريش لاقتلاعه من وطنه مكة:

(١) وانظر: (الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده) جـ ٤ ص ٥٧٥ ـ ٥٧٦.

﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك[1] أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين﴾[2] [الأنفال: ٣٠].

وفي موطن آخر يتحدث إليه قائلاً:

﴿وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها وإذا لا يلبثون خلافك إلا قليلاً﴾. كما يحدثه عن جريمة ملأ قريش، المتمثلة في اقتلاعه من وطنه فيقول: ﴿وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك أهلكناهم فلا ناصر لهم﴾ [محمد: ١٣].

كذلك يتحدث القرآن الكريم إلى المؤمنين حاثًا إياهم على قتال المشركين، ومستثيراً لهم بأن هؤلاء المشركين قد أخرجوهم وأخرجوا نبيهم ﷺ من ديارهم، فلا بد، لهذا السبب، من التصدي لهم بالقتال.. يقول سبحانه، للمؤمنين: ﴿ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم وهموا بإخراج الرسول وهم بدءوكم أول مرة أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين (١٣) قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين﴾ [التوبة: ١٣ ـ ١٤].

وفي مقام آخر يعاتبهم، ويستفزهم، فيذكرهم بذات القضية.. يقول:

---

(١) أي يحبسوك: أو يثخنوك بالجراح.

(٢) وانظر: (الجامع لأحكام القرآن) جـ٧ ص ٣٩٧.

﴿يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل (٣٨) إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا والله على كل شيء قدير (٣٩) إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم (٤٠) انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون﴾ [التوبة: ٣٨ـ ٤١].

فإذا كان المقام مقام الحديث عن المكانة التى أعدها الله للمؤمنين الذين استجابوا لدعوته كان مقام الذين قاتلوا انتقامًا من الذين أخرجوهم من ديارهم واقتلعوهم من وطنهم، كان مقامهم عاليًا وملحوظًا: ﴿فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثوابا من عند الله والله عنده حسن الثواب﴾ [آل عمران: ١٩٥].

وإذا كان المقام مقام اختصاص بالفيء والمال، فإن الفقراء، الذين تسبب اقتلاعهم من وطنهم في إفقارهم، بعد أن لم يكونوا كذلك، هم الأولى بالاختصاص: ﴿ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٧) لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحشر: ٧ ـ ٨].

هكذا يذكر القرآن الكريم ـ عندما يتحدث عن القتال ـ إخراج المشركين للمؤمنين من ديارهم، سببًا يجب من أجله القتال، وقضية يستنفر المؤمنين كي يقاتلوا لحلها، حتى يستردوا وطنهم الذي اقتُلِعوا منه من تحت سلطان المشركين.. ومن هنا فإننا لا نعدو الحقيقة إذا نحن قلنا: إن فتح المسلمين لمكة، في السنة الثامنة من الهجرة، كانت حرب تحرير سياسية، بالمعنى الدقيق لهذا التعبير.. فالمسلمون لم يفرضوا الإيمان بالإسلام ـ كدين ـ على أهل مكة عندما جاء نصر الله والفتح، وإنما هم تركوا ضمائرهم وقلوبهم كي يسلك الإيمان إليها دربه الطبيعي: الإقناع والاقتناع. ولقد عبر الرسول ﷺ، عن ذلك الموقف السامي عندما قال لهم: ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [يوسف: ٩٢].

اذهبوا فأنتم الطلقاء!.. بل لقد تألف قلوبهم بالعطاء الكثير!.. ولم يؤدب أولئك الذين كانوا يبكون ويولولون عندما تهاوت الأصنام التى كانوا يعبدون!.. فالذى صنعه وفرضه الفاتحون المسلمون ليس هو «الإيمان»، وإنما هو «تحرير الوطن» الذى سلبه المشركون من المؤمنين قبل ثمانية أعوام!... وهو الوطن الذى يشهد لحبه والتعلق به كلمات الرسول ﷺ، يوم هجرته منه، عندما أخذت خطواته تباعد بينه وبين تراب مكة، فلقد التفت إليها، مودعًا، ففاضت كلماته التى تقول: «..**اللهم أنت أحب البلاد إلى الله، وأحب البلاد إلىّ، ولولا المشركون من أهلك أخرجونى لما خرجت منك!**».. وعند ذلك جاءه الوحى الأمين بقول الله ـ سبحانه:

﴿**وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ**﴾ [محمد: ١٣].

لقد قاتل المشركين ست سنوات؛ لأنهم أخرجوه وأصحابه من أرضهم وموطنهم، واعتدوا على حقهم الطبيعى فى الدعوة ـ بحرية ـ إلى دينهم الجديد.. وطوال هذه السنوات لم يفارقه الحنين إلى الوطن ـ مكة ـ حتى لقد كان يدعو ربه فيقول: «**اللهم حبب لنا المدينة كحبنا مكة**..!»[1] عندما يستبد به الشوق، وتستثيره أبيات الصحابى بلال بن رباح فى الحنين إلى مكة ومعالمها، وفيها يقول:

---

(١) انظر (الأعمال الكاملة لرفاعة الطهطاوى) جـ ٤ ص ١٨٤، دراسة وتحقيق: دكتور محمد عمارة. طبعة المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت سنة ١٩٧٧م.

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة   «بفخ»، وحولى «إذخر» و«جليل»
وهل أردن يومًا مياه «مجنة»   وهل تبدون لى «شامة» و«طفيل»؟!

وعندما جاء العام الثامن للهجرة قاد الرسول ﷺ المسلمين فاستردوا الوطن الذى أخرجوا منه قبل ثمانى سنوات . . فكان ذلك دليلاً آخر على أن القتال فى الإسلام والجهاد الحربى هو سياسة، ينهض العامل الوطنى بالدور الأكبر فى شرعيته ومشروعيته . . وليس سبيلاً لفرض الدين وغرس العقيدة وتحصيل الإيمان! . .

* * *

قتال الصّحابة ﷺ

ولم يَقلّ الطابع السياسى للقتال الذى حدث فى عصر الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ عما كان عليه فى عصر الرسول ﷺ، بل لعله كان أشد وضوحًا وأبرز للعيان.

وفى عهد الصحابة حدثت أنواع من الحروب، تمثلت فى العديد من المعارك القتالية التى غطت، تقريبًا، كل عصر صدر الإسلام.. وأنواع الحروب هذه يمكن تصنيفها إلى:

١ ـ حروب ضد القبائل العربية التى «ارتدت» عن الإسلام قبل وفاة الرسول ﷺ.

٢ ـ وحروب ضد القبائل العربية التى «ارتدت» عن وحدة الدولة العربية الإسلامية عقب وفاة الرسول ﷺ، وعند تولى أبى بكر الخلافة.

٣ ـ وحروب الفتوحات التى وصلت بحدود الدولة إلى فارس والشام وإفريقية.

٤ ـ وحروب على بن أبى طالب ضد خصوم حكمه.. من طلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، إلى معاوية بن أبى سفيان، وأهل الشام، إلى

الخوارج . . ثم حروب الخوارج ضد الأمويين، والتى امتدت فاتسعت لتشمل غيرهم من تيارات الفكر والسياسة فى الإسلام . .

فما طبيعة تلك الحروب؟ . . وما مكان «السياسة» فى ذلك القتال؟ . . وأين كان «الدين»؟ بمعنى: هل كانت هذه الحروب، أو بعضها، حروبًا دينية استهدف منها أصحابها فرض العقيدة الدينية على الخصوم؟ . .

لننظر حتى نعرف الجواب . .

١ـ حروب الردة فى حياة الرسول ﷺ :

قبيل وفاة الرسول ﷺ، وعند وفاته «ارتدت» عدة قبائل عربية عن الإسلام، فأعلنت رفض سلطة الدولة العربية الإسلامية التى توحدت تحت حكم الرسول ﷺ بعد فتوحات المسلمين وغزواتهم فى شبه الجزيرة، وأعلنت تلك القبائل الاستقلال عن دولة «المدينة» . . وكان هذا جانبًا سياسيًا، وليس دينيًا، واضحًا فى حركة «الردة» هذه . . ولكنها كانت «ردة» ضد «دولة» يحكمها «نبي»، فزعم قادة هذه «الردة» أنهم هم الآخرون «أنبياء»! . . فعرف التاريخ ذلك العدد من «المتنبئين»! . .

* الأسود العنسى (عبهلة) بن كعب بن عوف العنسى . . وهو الملقب «بذى الخمار» . . كان كاهنا، وهو أول المرتدين، بدأ عصيانه من «كهف خبان»، باليمن، ومعه «عنس»، وهم بطن من قبيلة «مذحج»، فاستولى على المنطقة الممتدة من صنعاء إلى عُمان إلى الطائف . . وكانت ردته سنة

١١هـ، قبل وفاة الرسول ﷺ ، ولقد حاربه المسلمون، وقتلوه غيلة، فانهزم انصاره قبل وفاة الرسول ﷺ بليلة واحدة، فلم تدم ردته وعصيانه أكثر من ثلاثة أشهر! . .

* وطليحة بن خويلد الأسدي . . من أسد خزيمة . . بدأت ردته وادعاؤه للنبوة فى حياة الرسول ﷺ ، فقاتله المسلمون حتى ضعفت شوكته، ثم عادت فقويت عقب وفاة الرسول ﷺ . . وكان أكثر أتباعه من قبائل أسد، وغطفان، وطي، ثم عبس، وذبيان. . وبعد هزيمته النهائية فر إلى الشام، ثم عاد فآمن بالإسلام! . .

* ومسيلمة بن حبيب (الكذاب) . . وكان كاهنا فى قبيلة كبيرة تدين بالنصرانية هى «بنو حنيفة»، تقطن اليمامة، بين نجد والأحقاف، فى موطن أقرب إلى نجد من الأحقاف . . ولقد بدأت ردته قبل وفاة الرسول ﷺ ، واستمرت بعدها، حتى قضى عليها المسلمون.

* وسجاح بنت الحارث بن سويد بن عقفان . . من بني تغلب . . وكانت عالمة راسخة في الديانة النصرانية التي كانت تدين بها قبيلتها . . ولقد زحفت على أرض بني تميم فتبعها منهم البعض، ثم سارت إلى «مسيلمة» فحالفته، وقيل تزوجته . . وبعد هزيمتهم انسحبت ـ قيل إلى البصرة، حيث أسلمت على عهد «معاوية بن أبى سفيان»، وقيل إلى الجزيرة، حيث ماتت منسية عند أخوالها! . .

أولئك هم أبرز «المتنبئين» الذين شقوا عصا الطاعة لسلطة دولة «المدينة» وتمردوا على الوحدة التى أقامتها فى شبه الجزيرة أول دولة عربية أقامها المسلمون.

وفي الحديث عن طبيعة هذه «الردة» وحربها وقتالها.. أدينية كانت ضد «دين» الإسلام؟ أم سياسية كانت ضد «دولة» الإسلام؟.. في الحديث عن هذه الطبيعة، التي صبغت ذلك القتال، لا بد من أن نلحظ ونعي عدداً من الحقائق، أهمها:

(أ) أن عقيدة «التوحيد»، في صورتها التي بلغت الذروة نقاء، كما بشر بها الإسلام، لم يذكر التاريخ أن أحداً من هؤلاء «المتنبئين» قد نالها بالنقض أو الإنكار أو التحريف..

(ب) أن «نبوة» محمد ﷺ، لم يجحدها أحد من هؤلاء «المتنبئين».

وكل الذي ذكرته مصادر تاريخنا عن هؤلاء «المتنبئين»، في هذا الباب، أنهم أنكروا أن يكون محمد هو النبي الوحيد.. لقد أرادوه نبياً لقريش، وأراد كل منهم نفسه «نبيًا» لقبيلته ومن غلبت عليه من صغار القبائل وضعاف الأفخاذ والبطون!..

(جـ) أن قضية «الوحي»، والاعتقاد بوجوده رباطًا يصل الإله الواحد بالنبي، لم تكن موضع إنكار من هؤلاء «المتنبئين».. فلقد زعم كلٌ منهم أنه يوحى إليه، وألقى إلى أتباعه بشيء من السجع الذي زعموا أنه ثمرة الوحي، وهو سجع بقي القليل منه وتناثر في مصادر التاريخ.. فهم لم ينكروا «الوحي»، وإنما أنكروا تفرد محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ باستقباله!..

إذن . . فنحن هنا أمام تمردات قبلية، تشق الوحدة التي أقامتها الدولة العربية الإسلامية الوليدة، التي يحكمها نبي قرشي . . فهي انشقاقات ضد الوحدة . . ولأن دولة الوحدة هذه يقودها نبي، فلقد زعم قادة هذه الانشقاقات أنهم هم الآخرون «أنبياء»! . . وكان لا بد من تحريفات يحدثها هؤلاء «المتنبئون» في الدين الذي وحد العرب، طلباً للتمايز الذي يتطلبه التمرد والارتداد والانشقاق! . . أي أننا نلمح الطابع السياسي، غير خفي، خلف تلك الغلالة الشفافة، بل المهترئة، التي زعموها «نبوة» لهؤلاء المرتدين! . .

ولنا أن نسأل: هل كان باستطاعة واحد من هؤلاء «المتنبئين» أن يقنع عاقلاً من قومه، أو من غير قومه، بأن سجعه السقيم يطاول القرآن الكريم؟! . . وهل كان في وسع عقلاء العرب وحكمائهم أن يضعوا إنساناً أو فكراً في كفة ميزان ثم يزعموا أنها يمكن أن توازي الكفة التي نهض عليها محمد بن عبد الله، ودين الإسلام؟! . . لا نعتقد أن ذلك كان ممكناً خاصة وأن الرسول ﷺ، كان لا يزال حياً يشع سلوكه على ما حول «المدينة»، وتنهض معجزته ـ القرآن ـ بسحر إعجازها، وهي لأولئك العرب البلغاء أكثر سحراً وأفعل إعجازاً منها لغير البلغاء من أمثال الذين أتوا بعدهم من الأجيال! . .

إذن . . لماذا كان انتشار «الردة» هكذا سريعاً، وشبه شامل؟! . . في اعتقادنا أنه يصعب تصورها ردة عن «الدين»؛ لأن عظمته وعطاءه

يتضاءل دونهما كل بديل . . لكن الأثرة السياسية، والعصبية القبلية، قد دعت القبائل الكبرى إلى أن تتصدى «الدولة» الإسلام، التى حسبوها «دولة قريش»، فأرادوا اقتسام «الميزة السياسية»، فلما وجدوها قد ارتبطت بظهور «النبوة» فى قريش، أرادوا اقتسام «ميزة النبوة» أيضًا، فكان «التنبؤ» الذى زعموه لأنفسهم الستار الذى غلفوا به الطمع فى الدنيا، والرغبة فى تفكك الدولة، والطموح إلى العودة ـ فى السياسة ـ إلى ما قبل الوحدة السياسية التى صنعها الرسول ﷺ والمسلمون لعرب شبه الجزيرة . . فهى إذن «ردة سياسية»، حاولت تبرير نفسها وستر عوراتها برداء مهترئ من «التنبؤ» والدين ! . . ومن ثم فإن الطابع السياسى والطبيعة السياسية لما دار فى حروبها من قتال، أمر لا تخطئه عين باحث يحترم العقل عندما ينظر ويبحث عن طبيعة القتال فى هذه الحروب .

ولعل مما يزيد أمر الطابع السياسى لقتال هذه الحروب وضوحًا ـ إن كانت لا تزال بحاجة إلى مزيد من الوضوح ـ أن نتأمل فى عدد من النصوص والمأثورات التى حفظها لنا التاريخ عن أحداث تلك الحروب وأقوال أقطابها .

* فالأسود العنسى (عبهلة) : عندما أعلن عصيانه وأظهر دعوته باليمن كتب إلى قادة المسلمين وعمالهم كتابًا . . وهو فى هذا الكتاب لم يدعهم إلى ترك «الدين» الإسلامى، والدخول فى دين جديد، كما تكون عادة الأنبياء الجدد، وإنما طلب منهم أن يظلوا على دينهم وعقيدتهم . .

فقط طلب إليهم أن يتركوا لأهل اليمن أرضهم وأموالهم! . . لقد قال لهم في كتابه إليهم: «أيها المتوردون علينا، أمسكوا علينا ما أخذتم من أرضنا، ووفروا ما جمعتم، فنحن أولى به. وأنتم على ما أنتم عليه»؟! . .

فهو إذن، يطلب إلى القرشيين، أو ممثلي الدولة التي يحكمها نبي قرشي، يطلب إلى هؤلاء الذين «وردوا» إلى اليمن من خارجها، أن يدعوا أرض اليمن ومالها لأهلها، فهم أولى به. . إنه يطلب هدم وحدة الدولة، ويرتد عن «التوحيد السياسي»، الذي كان وجهاً لعملة واحدة يمثل «التوحيد الديني» وجهها الآخر. . فهي «ردة» في السياسة، أكثر مما هي «ردة» في الدين!

* و«متنبئ» بني حنيفة: «مسيلمة الكذاب»: يعلن، صراحة، في سجعه الذي ألقى به إلى قومه أنه يبشر بفكر سياسي يبغي من ورائه اقتسام الأرض والدولة بين «بني حنيفة» وبين «قريش»! . . فهو يريد ألا تستأثر قريش بالأرض والدولة. . فلما لم تستجب له أعلن العصيان وارتد عن «الوحدة الإدارية والتوحيد السياسي». . يقول مخاطباً الضفادع: «يا ضفدع، نقي نقي، لا الشارب تمنعين، ولا الماء تكدرين، لنا نصف الأرض ولقريش نصف الأرض، ولكن قريشاً قوم يعتدون»! . .

وعندما عقد حلفه مع «المتنبئة» «سجاح بنت الحارث»، عرض عليها أن يكون لقومها نصيب قريش من الأرض والدولة، فقال لها: «لنا نصف

الأرض، وكان لقريش نصفها لو عدلت!، وقد رد الله عليك النصف الذي ردت قريش، فحباك به، وكان لها لو قبلت»!.

ولما ذهب خالد بن الوليد لقتال مسيلمة وبني حنيفة سألهم: «يا بني حنيفة، ما تقولون؟.. قالوا: نقول: منا نبي ومنكم نبي»!.

فقسمة النبوة، هنا، هي التعبير عن قسمة الأرض والسلطة، التي أعلنوا عنها «في سجع الكذاب»!. وقول بني حنيفة هذا لخالد بن الوليد يدل على أن هذه القضية لم يكن وضوحها وقفًا على فكر مسيلمة وخاصته، بل كان وضوحها متعديًا لنطاق الخاصة والقواد.. بل لقد رأيناه من الوضوح عند البعض إلى الحد الذي فضح فكرة ودعوى «نبوة» هؤلاء «المتنبئين» حتى عند الأنصار والأتباع والأعوان!.. فهذا «طلحة النمري» يذهب للقاء مسيلمة في «اليمامة» فيسأل عنه نفرًا من بني حنيفة:

ـ أين مسيلمة؟

ـ مه ـ [اصمت]! ـ رسول الله!..

ـ لا.. حتى أراه!.

فلما أن لقي طلحة النمري مسيلمة دار بينهما هذا الحوار الذي بدأه طلحة:

ـ أنت مسيلمة؟..

ـ نعم..

ـ من يأتيك؟ . .

ـ رحمن . .

ـ أفى نور؟ أو فى ظلمة؟ . .

ـ فى ظلمة . .

ـ أشهد أنك كذاب ، وأن «محمداً» صادق . ولكن كذاب ربيعة أحب إلينا من صادق مضر؟! . .

فهى إذن السياسة ، وهى إذن الطموحات القبلية المتعصبة فى اقتسام الأرض والمال والسلطة والدولة . . وما غلالة «النبوة والتنبؤ» إلا الستار الذى حاول البعض به ستر الحقيقة عن العوام . . وطلحة النمرى يفضح المقاصد عندما يعلن صدق نبوة محمد ، وكذب تنبؤ مسيلمة ، ولكن العصبية القبلية والأهداف السياسية تجعله يقف مع كذاب «ربيعة» لا مع صادق «مضر» ؛ لأن دنياه مع هذا الكذاب ، وهو قد قطع صلتها بالدين! .

هكذا تشهد المأثورات لما شهد به التحليل العقلى من وضوح الطابع السياسى للقتال الذى شهدته الحروب التى شبت بين الصحابة وبين هؤلاء «المتنبئين»[(1)]! . .

---

(1) انظر أخبار حروب الردة هذه فى [تاريخ الطبرى] جـ ٣ ص ١٣٧ ـ ١٣٨ ، ٢٨٦ ـ ٢٨٨ ـ ٣٠٠ . طبعة دار المعارف . القاهرة . و[نهاية الأرب] للنويرى جـ ١٨ ص ٧٢ ـ ٧٣ وجـ ١٩ ص ٤٩ ـ ٦٩ ـ ٧٠ ـ ٧٤ ـ ٧٦ ـ ٧٨ ـ ٨٠ .

ويشهد لهذه الحقيقة أيضًا أن حركات «الردة»، التى قامت بعد وفاة الرسول ﷺ، قد غابت منها ظاهرة «التنبؤ» فازداد وضوح طابعها السياسى، وتعرت أهدافها تمامًا من تلك الغلالة «الدينية»؛ لأن غياب صفة «النبوة» عن الخليفة الذى تولى رئاسة الدولة بالمدينة أسقط ضرورة ادعاء «النبوة» لمن يشق عصا وحدة هذه الدولة.

لقد كان «التنبؤ» سلاحًا تسلح به المرتدون على وحدة الدولة؛ لأن قائد هذه الدولة الواحدة كان نبيًا، إلى جانب كونه حاكمًا سياسيًا، فأما وقد انتقل النبى ﷺ، إلى جوار ربه، وتولى الحكم خليفة، غير نبى، فلم تعد هناك ضرورة لادعاء المرتدين على وحدة هذه الدولة للنبوة.. ومن ثم فلقد وضحت طبيعة الصراع وفلسفته، وغدت القسمة السياسية للقتال والجهاد الحربى واضحة للعيان كل الوضوح.

٢ـ حروب الردة بعد الرسول ﷺ

تجلت عبقرية الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ فى السياسة، عند وفاة الرسول ﷺ، أول ما تجلت فى سرعة اختيارهم لأبى بكر الصديق [٥١ ق. هـ ـ ١٣ هـ: ٥٧٣ ـ ٦٣٤م] خليفة للرسول فى السلطة الزمنية وحاكمًا أعلى للدولة العربية الإسلامية، فلقد حسموا خلاف الأنصار للمهاجرين حول هذا المنصب فى «سقيفة بنى ساعدة»، وتمت البيعة لأبى بكر، قبل أن يدفن جثمان الرسول ﷺ.

ولقد وضحت ميزات هذا الحسم السريع عندما أسرعت الأنباء ترد إلى «المدينة» ـ عاصمة الدولة ـ بأن قبائل العرب قد انتشرت فيها «الردة» انتشار النار في الهشيم! . . ولقد تبع هذه الأنباء حضور وفود من هذه القبائل إلى المدينة تعلن لقيادة الدولة هذا الموقف الجديد! . . جاءوا يفاوضون، فإذا هم يعلنون بقاءهم على إسلامهم وإيمانهم «بالدين» ولكن مع «الارتداد» عن «الوحدة السياسية والاقتصادية للدولة» . . فهم باقون على عبادة الله وحده، وعلى الإيمان بنبوة محمد ﷺ، يقيمون الصلاة، ويصومون، ويحجون، أما الزكاة فإنهم سيصرفونها في قومهم، أي محليًا، بين من يستحقونها في مضارب خيامهم القبلية، ولن يدفعوا منها شيئًا إلى الخليفة الحاكم بالمدينة؛ لأنهم لا يعترفون له بما كانوا يعترفون به للرسول من السلطة والسلطان! . .

حدث ذلك من عرب شبه الجزيرة، أو قل: من أعرابها، ولم يبق خاضعًا لسلطان دولة الخلافة إلا الحواضر: المدينة، ومكة والطائف . . أي لم يبق مع العاصمة إلا قبيلتا: «قريش» و«ثقيف»؟! . . وبعبارة «النويري» فإنه «لما قُبِضَ الرسول ﷺ، ارتدت العرب كلها إلا قريشًا وثقيفًا، وأتت وفود العرب إلى أبي بكر مرتدين يقرون بالصلاة ويمنعون الزكاة»[1]؟! . .

ولكن الخليفة رفض أن يجيب وفود هذه القبائل إلى ما يطلبون، واستمسك بالوحدة السياسية للدولة، باعتبارها الوجه الثاني لعملة

(١) [نهاية الأرب] جـ١٩ ص ٦١.

واحدة يحمل وجهها الآخر عقيدة التوحيد في الدين، بل لعله رأى أن الحفاظ على الوحدة السياسية أدخل في اختصاصه، وألزم لمهمته، فهو خليفة وحاكم سياسى للدولة، وليس بنبى أو رسول! . . ومن ثم فلقد صمم على قتال هؤلاء الذين «ارتدوا» عن الوحدة السياسية، على الرغم من اعتراض عمر بن الخطاب [٤٠ ق. هـ ٢٣ هـ ـ ٥٨٤ ـ ٦٤٤م]، الذى استعظم، في البداية، محاربة قوم لم يخلعوا التوحيد في الدين. . لقد نفذت بصيرة أبى بكر وتجلت عبقريته في قراره التاريخى الذى أوجزه في قولته الشهيرة: «والله لو منعونى عقالا[١] كانوا يؤدونها إلى رسول الله لقاتلتهم عليها»! . . فهو لن يحاربهم حربًا دينية؛ لأنهم على التوحيد الدينى والإيمان بدين الإسلام قائمون ومستمرون، يصومون ويصلون ويحجون، بل ويزكون، ولكنهم يصرفون زكاتهم في مضارب قبائلهم، ويمتنعون عن دفعها إلى عاصمة الخلافة وبيت مال الدولة. . فلا وجه إذن لمحاربتهم الحرب الدينية. . وإنما سيحاربهم حربًا سياسية، تعيد للدولة وحدتها، وتضمن لهذه الوحدة النمو والتدعيم.

ولقد كان تسليم الزكاة لبيت مال دولة الخلافة، بالمدينة، هو المعيار والرمز لبقاء وحدة الدولة، التى رآها أبو بكر الصديق، بعبقرية أبصرت المستقبل كله لحظة اتخاذه لهذا القرار، رآها الضمان لمجد العرب وتحضرهم، بل والضمان لبقاء عقيدة التوحيد وانتشارها، أى لبقاء الإسلام، كدين، وحتى لا يذهب كما ذهبت مذاهب ودعوات عفا عليها الزمن؛ لأنها لم تجد الدولة التى تضمن لها الانتشار فالبقاء! . .

(١) العقال ـ بكسر العين ـ زكاة العام.

لقد نهض أبو بكر الصديق فحصن المدينة حتى لا تقتحمها القبائل المرتدة، بعد أن رفض الاستجابة لمطالب وفودها.. ثم خرج إلى حيث عسكر بالمسلمين، الذين تأهبوا لحرب فاصلة يعيدون بها الوحدة للدولة، وكان معسكرهم في «ذي القصة».. وهناك عقد لأمراء الحرب ألوية القتال، ووجههم إلى ميادينه.. عقد لهم أحد عشر لواء:

١ ـ خالد بن الوليد.. لقتال طليحة الأسدي.. ثم لقتال مالك بن نويرة، بالبطاح.. إن هو استمر على عصيانه.

٢ ـ وعكرمة بن أبي جهل.. لقتال مسيلمة الكذاب، باليمامة..

٣ ـ والمهاجر بن أمية.. لقتال جنود الأسود العنسي.. ولمعونة الأبناء على قيس بن المشكوح ومن معه من أهل اليمن.. ثم لقتال «كندة» بحضرموت.

٤ ـ وخالد بن سعيد بن العاص.. لقتال أهل الحمقتين، من مشارف الشام..

٥ ـ وعمرو بن العاص.. لقتال جماع «قضاعة» و«وديعة» و«الحارث».

٦ ـ وحذيفة بن محصن الغلفاني.. لقتال أهل دبا..

٧ ـ وابن هرثمة.. لقتال «مهرة».

٨ ـ وشرحبيل بن حسنة.. لقتال «قضاعة»، بعد إعانة عكرمة بن أبي جهل في قتال أهل اليمامة.

٩ ـ ومعن بن حاجز . . وقيل طريفة بن حاجز ـ لقتال «سليم» ، ومن معهم من «هوازن» .

١٠ ـ وسويد بن مقرن . . لقتال «تهامة» باليمن .

١١ ـ والعلاء بن الحضرمى . . لقتال أهل البحرين[١] . .

ولقد كانت وصية أبى بكر للجند المحاربين وعهده لأمراء هذه الحرب دليلاً آخر على طابعها السياسى ، فهم ذاهبون لقتال قبائل مسلمة ، قد «ارتدت» عن الوحدة السياسية للدولة ، ولم ترتد عن التوحيد الإلهى فى الدين . . ومن ثم فلا بد من التمييز بين الذين ظلوا على إسلامهم وبين الذين خلعوا الدين مع خلعهم وحدة الدولة السياسية . . إذ محال أن نجعل المسلمين كالمشركين ! . . قال الخليفة الصديق أبو بكر لجنوده «إذا غشيتم داراً من دور الناس فسمعتم أذاناً للصلاة فأمسكوا عن أهلها حتى تسألوهم : ماذا نقموا؟! . . وإن لم تسمعوا أذاناً فشنوا الغارة»[٢] ! . .

كما تشهد حرب خالد بن الوليد لمالك بن نويرة ، وقتله له ، للطابع السياسى ـ وليس الدينى ـ لهذه الحروب ، وتؤكد على أنها كانت «ردة» عن «الوحدة السياسية للدولة» ، ولم تكن ، بحال من الأحوال ، «ردة» عن «دين» الإسلام .

---

(١) المصدر السابق . جـ١٩ ص ٦٤ ـ ٦٥ .
(٢) [تاريخ الطبرى] جـ٣ ص ٢٧٩ .

* فمالك بن نويرة قد فض حلفه مع سجاح بنت الحارث ـ التى انصرفت إلى أرض الجزيرة ـ وهو حلف استهدف من ورائه تحقيق أغراض قبلية، منها ثأر كان يطلبه من «بنى ضبة». . ولم يكن حلفًا تنتقص طبيعته من إيمانه بدين الإسلام.

* وهو قد جمع الزكاة وميزها، ولكنه رفض تسليمها لبيت مال دولة الخلافة بالمدينة، وأرجأ التصرف فيها، ثم أصبح متحيراً من أمره فيها، وخاصة بعد فض حلفه مع سجاح بنت الحارث[1] . . وله فى ذلك شعر يفصح عن إيمانه بدين الإسلام، وعن التزامه التعبد بالزكاة، كركن من أركان الإسلام، لكن مع التردد والحيرة في مصرفها. . هل يكون في فقراء قومه؟ أو إلى بيت مال الدولة بالمدينة؟ . . يقول مالك:

وقال رجال: سدد اليوم مالك ... وقال رجال: مالك لم يسدد
فقلت: دعونى لا أبا لأبيكم ... فلم أخط رأيًا فى المقام ولا الندى
وقلت: خذوا أموالكم غير خائف ... ولا ناظر فيما يجئ به غدى
فدونكموها، إنما هى مالكم ... مصورة أخلاقها لم تجدد
سأجعل نفسى دون ما تحذرونه ... وأرهنكم يومًا بما قلته يدى
فإن قام بالأمر المجدد قائم ... أطعنا، وقلنا: الدين دين محمد[2]

(١) المصدر السابق. جـ٣ ص ٢٧٦.

(٢) ابن أبى الحديد [شرح نهج البلاغة] جـ١٧ ص ٢٠٥. طبعة الحلبى. القاهرة.

* وعندما هم خالد بن الوليد بقتال مالك بن نويرة وقومه، عارضه فى ذلك صحابة أجلاء، كانوا ساعتئذ جنوداً فى جيشه، فلما لم يستجب لرأيهم رفضوا القتال معه ضد مالك وقومه؛ لأنهم - مثلهم - مسلمون! . . وكما يقول الطبرى: فلقد «ترددت الأنصار على خالد، وتخلفت عنه، وقالوا: ما هذا بعهد الخليفة إلينا»[1]؟! . .

* ولقد شهد بإسلام مالك بن نويرة وقومه، وبظلم خالد بن الوليد لهم، إذ قاتلهم وقتل منهم، شهد بذلك كثير من شهود تلك الحرب . . ومن هؤلاء الشهود الصحابى الأنصارى أبو قتادة الحارث بن ربعى - الملقب بفارس رسول الله[2] ﷺ - فقال: إنهم لما غشوا القوم راعوهم تحت الليل! [أى أفزعوهم ليلاً] . . فأخذ القوم السلاح؛ ليدفعوا به عن أنفسهم هذا الذى أفزعهم ليلاً . . قال أبو قتادة:

- «فقلنا: إنا المسلمون! . .

- فقالوا: ونحن المسلمون! . .

- قلنا: فما بال السلاح معكم؟! . .

- قالوا: وما بال السلاح معكم؟! . .

- قلنا: فإن كنتم كما تقولون فضعوا السلاح! . .

---

(١) [تاريخ الطبرى] جـ ٣ ص ٢٧٦.

(٢) انظر ترجمته فى [أسد الغابة فى معرفة الصحابة] لابن الأثير.

قال أبو قتادة: فوضعوها، ثم صلينا وصلوا. . ؟!. .

ومع ذلك حاربهم خالد بن الوليد! . .

* ولقد رأينا عمر بن الخطاب يتحدث إلى أبي بكر الصديق في هذا الأمر، طالبًا القصاص لمالك بن نويرة من خالد بن الوليد، وقائلاً عبارته الشهيرة: «عدو الله! عدا على امرئ مسلم فقتله، ثم نزا[1] على امرأته»[2]! . .

وأيضًا. . يشهد للطابع السياسي لهذه الحرب ـ حرب القبائل التي خلعت وحدة الدولة ولم تخلع توحيد الإسلام الدين ـ شعر الخطيل بن أوس ـ أخي الحطيئة ـ الذي يصور معنى منع هذه القبائل تسليم الزكاة لحكومة أبي بكر الصديق، في المدينة، وفحوى مطالب وفودها التي وفدت إلى المدينة، تقر بالإسلام الدين وتطلب فك ارتباطها بوحدة الدولة السياسية، وكيف أن ذلك كان يعني رفض هذه القبائل لسلطة خليفة قرشي لم يستشاروا في اختياره، دون أن يعني رفض الدين الإسلامي؛ لأنهم قد دانوا له وتدينوا به بالحرية والاختيار. . يقول الخطيل بن أوس:

أطعنا رسول الله إذ كان بيننا فيا لعباد الله ما لأبي بكر؟!

أيورثها بكرًا إذا مات بعده وتلك لعمر الله قاصمة الظهر

---

(1) نزا: وثب. ومن الذكر على الأنثى: سافدها ووطئها. . وأصلها في سفاد ذي الحافر والظلف والسباع!.

(2) [تاريخ الطبري] جـ٣ ص ٢٧٦.

فــهــلا رددتم وفــدنا بإجــابة   وهلا حـســبتم منه راعـيـة البكر
فــإذا الذي ســألوكم فـمنعـتم   لكالتمر أو أحلى لحلف بنى فهر[1]!

ولقد كان وراء منع هذه القبائل تسليم الزكاة لحكومة أبي بكر الصديق تخريجًا استخرجوه لأنفسهم، وتأويلاً تأولوا به قول الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ [التوبة: ١٠٣]. فقالوا: إنهم كانوا يدفعون الزكاة ـ [الصدقات] ـ إلى من كانت صلاته [سكنٌ لهم] ـ وهو الرسول ﷺ ـ وليس كذلك حال أبي بكر الصديق ولا حال غيره، فليس عليهم ـ وفق هذا التأويل ـ أن يدفعوا صدقاتهم إلى من لايستطيع أن تكون صلاته لهم سكنًا!.. ذلك كان تأويلهم.. وهو شاهد آخر على إيمانهم بالدين، ومن ثم على الطبيعة السياسية للحرب التي اشتهرت في تاريخنا باسم «حروب الردة» والتي وصف هذا الطرف من أطرافها بوصف «المرتدين»!..

لكن.. من الحق ومن الواجب أن نسأل: إذا كان الأمر كذلك، فلم اشتهر وصف هذه القبائل المسلمة بصفة «الردة»، وسموا «بالمرتدين»، هكذا بإطلاق، ودون التمييز بين «الردة» عن الدين، بالكفر، وبين «الردة» عن الوحدة السياسية للدولة، بالانفصال السياسي والانشقاق الإداري؟!..

من الحق أن نسأل هذا السؤال.. ومن حسن الحظ أنه قد طرح في تراثنا القديم، وأجاب عليه عدد من أئمة الفكر وأعلام المؤرخين إجابة

---

(١) [شرح نهج البلاغة] جـ ١٣ ص ٢١٠.

تزكيهما وتتفق مع مضمونها كل الاتفاق.. لقد طرح ابن أبي الحديد [٥٨٦ ـ ٦٥٥هـ ١١٩٠ ـ ١٢٥٧م] هذا السؤال، وأجاب عليه.. قال: «.. لم قلت: إن الذين قاتلهم أبو بكر وأصحابه كانوا مرتدين؟!.. فإن المرتد من ينكر دين الإسلام، بعد أن قد تدين به، والذين منعوا الزكاة لم ينكروا أصل دين الإسلام، وإنما تأولوا وأخطأوا؛ لأنهم تأولوا قول الله ـ تعالى ـ: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ﴾ [التوبة: ١٠٣]. فقالوا: إنما ندفع زكاة أموالنا إلى من صلاته سكن لنا، ولم يبق بعد وفاة النبي ﷺ من هو بهذه الصفة، فسقط عنا وجوب الزكاة. وليس هذا من الردة في شيء، وإنما سماهم الصحابة أهل الردة على سبيل المجاز، إعظاماً لما قالوه وتأولوه»[1]!..

فهل بعد ذلك شك في الطابع السياسي لقتال تلك الحرب؟.. وفي الطبيعة السياسية لذلك الصراع العنيف؟.. وهل يستطيع لفظ «الردة» أن يحجب هذه الطبيعة السياسية عن أعين الباحث وعقل المتأمل ولب المفكر في ذلك الصراع؟..

لا نعتقد.. بل لا نظن!..

٢ ـ حروب الفتوحات

أما حروب الفتوحات التي نهضت بها الدولة العربية الإسلامية، وخاصة على عهد عمر بن الخطاب [٤٠ ق هـ ـ ٢٣هـ ـ ٥٨٤ ـ ٦٤٤م]

(١) [شرح نهج البلاغة] جـ ١٣ ص ١٨٧.

فإن وضوح طابعها السياسى، وانتفاء شبهة الحرب الدينية عنها، لايحتاج إلى تفصيل حديث.. فهى فتوحات لم تفرض عقيدة الإسلام، وإنما امتدت بحدود الدولة السياسية إلى ما وراء شبه الجزيرة العربية، وهى قد تركت لأهالى البلاد المفتوحة حريتهم فى الاعتقاد، مسيحيين كانوا أم يهوداً أم مجوساً، بل لقد أتاحت لهم من الحريات الاعتقادية والدينية فوق ما كانوا يتمتعون به قبل هذه الفتوحات، فقد فرضت على بعضهم ضريبة زهيدة مقابل إعفائهم من ضريبة الجندية والقتال، لأمر اقتضاه أمن الدولة الناشئة وطبيعة التكوين العربى لجيشها المقاتل ـ ومن شارك من أبناء البلاد المفتوحة ـ وهو على دينه ـ فى القتال سقطت عنه هذه الجزية [ضريبة الجندية والقتال][1].

وفتوحات تترك أهل البلاد المفتوحة على عقائدهم الدينية.. وقتال لا يدخل المهزوم فى دين المنتصر هو أدخل فى السياسة إلى الحد الذى لا يحتاج فى إثبات طبيعته هذه إلى دليل، وأبعد عن القتال الدينى بُعْد الإكراه والقسر عن أن يكون وسيلة للتصديق القلبى والاقتناع الحر واليقين الباطنى الذى لا يرقبه ولا يراقبه سوى علام الغيوب!..

ويؤكد الطابع السياسى لقتال حرب الفتوحات هذه ذلك الطابع التحريرى والمضمون الوطنى الذى برز كمحتوى لعملياتها ومعاركها.. فالصراع الحضارى العنيف كان قائماً، وممتداً امتداداً تاريخياً بين الغرب

---

(١) انظر كتابنا [الإسلام والوحدة القومية] ص ٨٩ ـ ١٠٦. طبعة بيروت ـ الثانية ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر سنة ١٩٧٩م.

والشرق منذ قرون، وكانت «روما» فيه طرفًا، و«فارس» هي الطرف الثاني، وحروبهما، بما أسفرت عنه من هزائم وانتصارات، هي المد والجزر الذي تمثلت فيه علاقات القوى بين الفريقين.. وكانت فتوحات الإسكندر المقدوني [٣٥٦ـ٣٢٣ ق. م] قد حسمت إحدى جولات هذا الصراع لحساب الغرب والبيزنطيين، وأصبح الفرس عاجزين عن قيادة الشرق في هذا الصراع، وعن النهوض بعبء تحرير الشام ومصر والمغرب من سيطرة الروم، فكان ظهور «الإسلام»، بما أحدث من آثار سياسية، وبما أقام من دولة فتية، وبما أنجز من وحدة قومية حولت القبائل العربية إلى جيش باسل في القتال.. كان ذلك الظهور للإسلام إيذانًا بتولي الجماعة العربية زمام القيادة للشرق في هذا الصراع القديم المتجدد، ومن ثم كانت تلك الفتوحات العربية حركة تحرير لهذه البلاد المفتوحة من حاميات الروم البيزنطيين، أعان العرب المسلمين فيها وساعدهم عليها أهل البلاد الأصليون، مع احتفاظهم بدياناتهم القديمة، بل مع اشتراكهم مع الروم البيزنطيين في الإيمان بدين المسيح!..

وعلى الجانب الشرقي كان فتح العراق العربي تحريرًا له من سيطرة فارسية ظالمة، وكان فتح فارس ذاتها إنهاء لنظام اجتماعي فاسد، غدا فساده ثغرة في جدار الشرق مكنت منه الغزاة، وغدت مظالمه الاجتماعية والعرقية قيدًا يحول دون أهل فارس ودون الإبداع الحضاري الذي أهلهم له التاريخ والتراث الذي يملكون.

فهي حرب تحرير.. وهو قتال سياسي، اقتضته شئون الدولة وضرورات الصراع العالمي بين الشرق الفتي والغرب المتقهقر..

وليس فيه من الدين والحرب الدينية سوى الأعلام والرايات التى حارب تحت ظلالها المقاتلون! . .

٤ ـ الحروب بين المسلمين

استخدم المسلمون العنف، والعنف المسلح فى صراعاتهم الداخلية، أول ما استخدموه، فى ثورتهم التى أنهت عهد الخليفة الراشد الثالث عثمان بن عفان [٤٧ ق . هـ ـ ٣٥ هـ ـ ٥٧٧ ـ ٦٥٦ م]، وهى الثورة التى انتهت بقتله ـ عليه رضوان الله! . . ـ ولم يقل أحد، يعتد برأيه من مفكرى الإسلام، إن طرفًا من أطراف هذا الصراع العنيف قد كفر بدين الإسلام، ولا إن هذا الصراع كان صراعًا دينيًا يستهدف منه كل طرف فرض عقيدته الدينية على الطرف الآخر، بل لقد أطبق الإجماع على أنه كان صراعًا سياسيًا واجتماعيًا، استهدف الثوار منه تغيير المظالم التى حدثت، وعزل الولاة الذين استبدوا، وخلع الخليفة الذى عجز عن تنفيذ مطالب الثوار.

وفى عهد الخليفة الراشد الرابع على بن أبى طالب [٢٣ ق . هـ ـ ٤٠ هـ ٦٠٠ ـ ٦٦١ م] حدثت أول الحروب الحقيقية والكبرى التى كان طرفاها من المسلمين! . . ففى موقعة «الجمل» كان على وأنصاره فى جانب، وطلحة بن عبيد الله [٢٨ ق . هـ ـ ٣٦هـ ٥٩٦ ـ ٦٥٦ م] والزبير بن العوام [٢٨ ق . هـ ـ ٣٦هـ ٥٩٦ ـ ٦٥٦ م] ـ وهما من العشرة الذين تكونت منهم [هيئة المهاجرين الأولين] ـ وأم المؤمنين عائشة [٩ ق . هـ ـ ٥٨هـ ٦١٣ ـ ٦٧٨ م] وأنصارهم فى الجانب الآخر . . ولم يقل أحد يعتد برأيه

من مفكرى الإسلام أن طرفًا من أطراف هذه الحرب قد كفر بالله، أو بدَّل دينه.. بل لقد أجمعوا على الطبيعة السياسية لهذا القتال، فهو قتال على منصب الخلافة، وعلى وجهات النظر التى يراها كل فريق أنجعَ فى علاج المشكلات السياسية والاجتماعية التى تفجرت بالثورة على عثمان بن عفان، وبعدها.. بل لقد كان المنتصر والقاتل يصلى على المهزوم والقتيل، ويوارى جثمانه التراب فى مقابر المسلمين، ويطلب له الغفران والرحمة من الله!..

وفى القتال بين على بن أبى طالب وبين معاوية بن أبى سفيان [٢٠ ق.هـ - ٦٠ هـ ٦٠٣ - ٦٨٠م].. كاد إجماع المسلمين أن ينعقد على أن معاوية وأنصاره يمثلون «الفئة الباغية» على أمير المؤمنين على وأنصاره، وعلى أن قتال هذه الفئة الباغية واجب حتى تفىء إلى أمر الله.. ومع ذلك فهم مؤمنون مسلمون، وقتالهم سياسة بلغت مرحلة العنف المسلح، وليست دينًا؛ لأن الفريقين أبناء دين واحد، يؤمنون بإله واحد، ويشهدون بنبوة محمد، عليه الصلاة والسلام، ويحتكمون إلى القرآن الكريم، ويصلون إلى ذات القبلة الواحدة.. وليس بعد شهادة على بن أبى طالب بإيمان خصومه هؤلاء شهادة تقطع بالطبيعة السياسية لهذا القتال، وتنفى عنه أية شبهة دينية.. فلقد سأل أبو سلامة الدالانى - وهو من أصحاب على - سأله عن أمر معاوية وصحبه، فقال:

- «يا أمير المؤمنين، أترى لهؤلاء القوم حجة فيما طلبوا به من هذا الدم - [أى دم عثمان بن عفان] - إن كانوا أرادوا الله بذلك؟..

ـ نعم! . .

ـ وترى لك حجة بتأخيرك ذلك؟! . .

ـ نعم! . . إن الشيء إذا كان لا يدرك فالحكم فيه أحوط وأعود نفعاً.

ـ فما حالنا وحالهم إن ابتلينا بقتال غداً؟! . . .

ـ إني لأرجو أن لا يقتل أحد نقى قلبه، منا ومنهم، إلا أدخله الله الجنة»[1]! . .

فهو قتال سياسي، بين فرقاء اختلفت وجهات نظرهم في السياسة، والحكم على المواقف فيها داخل في نطاق الخطأ والصواب وليس في الكفر والإيمان. . بل إنه، بنص كلمات علي بن أبي طالب، قتال بين «أهل الجنة»؟! . .

فلم يكن علي يشك في عقيدة خصومه، أو يشكك في إيمانهم، وهو الذي يعلم براءة الإسلام من تخويل البشر سلطات دينية تحكم على العقائد والضمائر والقلوب. . ولذلك فهو يتحدث عن «إيمان» خصومه الذي لا يشك فيه، فيقول: «لقد التقينا ـ [في القتال] ـ وربنا واحد، ونبينا واحد، ودعوتنا في الإسلام واحدة، ولا نستزيدهم في الإيمان بالله والتصديق برسوله ولا يستزيدوننا. والأمر واحد إلا ما اختلفنا فيه من دم عثمان، ونحن منه براء»[2]! . . فليس هناك خلاف، يتقاتلون

(١) الباقلاني [التمهيد] ص ٢٣٧. طبعة القاهرة سنة ١٩٤٧م.

(٢) [شرح نهج البلاغة] جـ ١٧ ص ١٤١.

عليه، في: التوحيد، ولا النبوة، ولا دعوة الإسلام وعقائد دينه.. بل إن «الأمر»، أي السياسة، هو موطن الخلاف؛ ولا خلاف فيه بينهما إلا في الموقف من قتل عثمان بن عفان، وقتلته.. فهي قضية سياسية، أثارت قتالاً سياسياً، بين فرقاء كلهم مؤمنون ومسلمون..

وعندما يقحم نفر من «الخوارج». في ساحة الصراع، مصطلحات: «الكفر» و«الكفار»، يصفون بها عقيدة معاوية بن أبي سفيان وأنصاره، فيبدءون موجة الانحراف الفكري الذي أصاب الكثير من فرق الإسلام ومدارسه الفكرية، عندما جعلوا السياسة دينًا، و«الخطأ» «كفرًا»، و«الذنب» «شركًا بالله».. عندما يبدأ الخوارج ذلك الانحراف الذي يخلط أمر «الدنيا» بأمر «الدين»، يتصدى لهم الإمام على بن أبي طالب، فيعلن قوله: «إنا، والله، ما قاتلنا أهل الشام على ما توهم هؤلاء - [الخوارج] - من التكفير والفراق في الدين، وما قاتلناهم إلا لنردهم إلى الجماعة.. وإنهم لإخواننا في الدين، قبلتنا واحدة، ورأينا: أننا على الحق دونهم[1] لقد أصبحنا نقاتل إخواننا في الإسلام على ما دخل فيه من الزيغ والاعوجاج والشبهة والتأويل»[2]..

فعلى بن أبي طالب رضي الله عنه، يقرر أنه إنما يقاتل «إخوانه في الإسلام»!.. وهم جميعًا دينهم واحد، وقبلتهم واحدة.. وليس هناك

---

(١) [التمهيد] ص ٢٣٨.

(٢) على بن أبي طالب [نهج البلاغة] ص ١٤٧ - طبعة دار الشعب القاهرة.

كفر ولا تكفير لفريق من الفرقاء، أو زعم أو ادعاء بفراقه للدين.. فقط إن الخلاف في «الرأى» و«الأمر»، أى في السياسة.. فالحرب ـ إذن ـ سياسية، والقتال ـ من ثم ـ سياسى، لا علاقة له بعقائد الدين وأصول الإيمان..

هكذا كانت حروب الإسلام، وهكذا كان قتال المسلمين، حماية للدعوة، وتأمينًا للدعاة، وصداً للفتنة عن الدين، وثأرًا وطنيًا يسترجعون به وطنهم الذى أخرجهم منه المشركون.. وقتالاً قوميًا يستعيدون به وحدة الدولة التى صدع وحدتها «المرتدون» عن الوحدة القومية التى تبلورت للعرب بانتصار الإسلام فى شبه الجزيرة العربية.. وحربًا لبناء الدولة، وتحرير الشرق من استعمار البيزنطيين.. وصراعًا على الخلافة أثاره الاختلاف فى «الرأى» وتعدد المناهج فى حل مشاكل الاقتصاد والاجتماع..

هكذا كانت حروب المسلمين فى صدر الإسلام، ومثلها ـ فى الطبيعة والأهداف ـ كانت كل الحروب التى نشبت بين الفرق الإسلامية على امتداد التاريخ الطويل للإسلام والمسلمين.. وكما يقول الإمام محمد عبده [١٢٦٦ ـ ١٣٢٣هـ ١٨٤٩ ـ ١٩٠٥م]: «فلقد كان المشركون يبدءون المسلمين بالقتال لأجل إرجاعهم عن دينهم، ولو لم يبدءوا فى كل واقعة لكان اعتداؤهم بإخراج الرسول ﷺ من بلده، وفتنة المؤمنين وإيذائهم، ومنع الدعوة. كل ذلك كان كافيًا فى اعتبارهم معتدين، فقتال النبى ﷺ. كله مدافعة عن الحق وأهله، وحماية لدعوة الحق، ولذلك

كان تقديم الدعوة شرطًا لجواز القتال، وإنما تكون الدعوة بالحجة والبرهان لا بالسيف والسنان.. والله ـ تعالى ـ يقول:

﴿ لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

ويقول: ﴿ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس: ٩٩].

وإذا لم يوجد من يمنع الدعوة ويؤذى الدعاة أو يقتلهم أو يهدد الأمن ويعتدى على المؤمنين فالله ـ تعالى ـ لا يفرض علينا القتال لأجل سفك الدماء وإزهاق الأرواح ولا لأجل الطمع والكسب. ولقد كانت حروب الصحابة فى الصدر الأول لأجل حماية الدعوة، ومنع المسلمين من تغلب الظالمين، لا لأجل العدوان، فالروم كانوا يعتدون على حدود البلاد العربية التى دخلت حوزة الإسلام، ويؤذون من يظفرون به من المسلمين، وكان الفرس أشد إيذاء للمؤمنين منهم. وما كان بعد ذلك من الفتوحات الإسلامية اقتضته طبيعة الملك، ولم يكن كله موافقًا لأحكام الدين، فإن من طبيعة الكون أن يبسط القوى على جاره الضعيف، ولم تعرف أمة أرحم فى فتوحاتها بالضعفاء من الأمة العربية، شهد لها علماء الإفرنج بذلك[1].. ولم يسمع فى تاريخ المسلمين بقتال وقع بين السلفيين والأشاعرة. مع الاختلاف العظيم بينهما، ولا بين هذين الفريقين من أهل السنة والمعتزلة، مع شدة التباين بين عقائد أهل الاعتزال وعقائد أهل

---

(١) [الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده] جـ٤ ص ٤٩٥ ـ ٤٩٦.

السنة ، سلفيين ، وأشاعرة ، كما لم يسمع بأن الفلاسفة الإسلاميين تألفت لهم طائفة وقع الحرب بينها وبين غيرها . نعم ، سمع بحروب تعرف بحروب الخوارج ، كما وقع من القرامطة وغيرهم ، وهذه الحروب لم يكن مثيرها الخلاف في العقائد ، وإنما أشعلتها الآراء السياسية في طريقة حكم الأمة ، ولم يقتتل هؤلاء مع الخلفاء لأجل أن ينصروا عقيدة ، ولكن لأجل أن يغيروا شكل حكومة . وأما ما كان من حروب الأمويين والهاشميين فهي حرب على الخلافة ، وهي بالسياسة أشبه ، بل هي أصل السياسة ! . . نعم ، وقعت حروب في الأزمنة الأخيرة تشبه أن تكون لأجل العقيدة ، وهي ما وقع بين دولة إيران والحكومة العثمانية ، وبين الحكومة العثمانية والوهابيين ، ولكن يتسنى لباحث بأدنى نظر أن يعرف أنها كانت حروبًا سياسية ، ويبرهن على ذلك بالولاء المتمكن بين الحكومتين اليوم ، مع بقاء الاختلاف في العقيدة بين الحكومة العثمانية وابن الرشيد أمير الوهابيين[1] . . لقد شهر المسلمون سيوفهم دفاعًا عن أنفسهم ، وكفًا للعدوان عنهم ، ثم كان الافتتاح بعد ذلك من ضرورة الملك . ولم يكن من المسلمين مع غيرهم إلا أنهم جاوروهم ، فكان الجوار طريق العلم بالإسلام ، وكانت الحاجة لصالح العقل والعمل داعية الانتقال إليه»[2] ! . .

---

(١) المصدر السابق : جـ٣ ص ٢٥١ .

(٢) المصدر السابق : جـ٣ ص ٤٦٢ .

هكذا كانت طبيعة الحرب وطبيعة القتال وطبيعة الجهاد الحربى المسلح فى الإسلام . . سياسية تمامًا، ومدارها : الدنيا والدولة وشئونهما، ولا شبهة يمكن أن تلحقها بحرب العقائد الدينية التى تستهدف فرض الإيمان والإكراه فى الدين، أو قتال الآخرين لمجرد الاختلاف فى عقائد الدين.



مقام الوطن والحرب الوطنية في الإسلام

فلا عجب، إذن بعد الذى تقدم، أن نرى «الوطن» و«الوطنية» مقامًا عاليًا فى فكر الإسلام وتراث المسلمين.. ذلك أن الذين يقولون «بالسلطة الدينية» و«وحدة السلطتين، الدينية والزمنية»[1] يغضون من شأن «النزعة الوطنية».. بل لقد رأينا منهم من يتحدث عنها كصنم وطاغوت يعبدها الوطنيون فى المجتمع الحديث ويشركونها فى العبادة مع الله[2]؟! أما الذين يقولون «بالطبيعة المدنية» لسلطة الدولة فى الإسلام، وبرفض الفكر الإسلامى للسلطة الدينية و«الحكم بالحق الإلهى» فإنهم لا يعجبون ولا يتعجبون من إجلال الإسلام وتعظيم فكره السياسى لمقام الوطن والوطنية، وحث أمته وأهله على الاهتمام بهما إلى هذا الحد

---

(١) انظر فى دراسة هذه الأفكار ونقدها كتابينا: (الإسلام وفلسفة الحكم) طبعة بيروت - الثانية - سنة ١٩٧٩م.. و(الإسلام والسلطة الدينية) طبعة بيروت - الثانية - سنة ١٩٨٠م.

(٢) انظر فى دراسة هذه الأفكار ونقدها كتابينا: (الإسلام وفلسفة الحكم). و(الإسلام والسلطة الدينية).

الكبير . . فما دامت السلطة ذات «طبيعة مدنية»، فإن صراعاتها ـ ومنها القتال ـ لا بد أن تكون «مدنية الطبيعة» فهو قتال سياسى إذن، حتى وإن أطلق عليه، القتال فى سبيل الله . . بل إن جعله فى سبيل الله يصبح شهادة تمجيد وإعظام وتقديس للقتال فى سبيل الوطن والحرب دفاعاً عن حوزة الأوطان! . . وكيف لا . . والله يجعل قتالنا السياسى العادل وحربنا الوطنية المشروعة، ونضالنا المسلح لحماية الوطن وصون استقلاله جهاداً في سبيله وقتالاً يبتغي به المقاتلون وجهه ورضوانه؟! . .

بل لقد جعل الإسلام، فى قرآنه الكريم، الموقف من «القضية الوطنية» معياراً يحدد للمسلمين من تجوز لهم مودته ومصادقته والبر به، ومن لا يجوز لهم إنزاله منازل الأصدقاء والأوداء، من غير المسلمين . . فنهانا نهيًا قاطعًا عن أن نصادق أو ننصر أولئك الذين يعتدون على ديارنا، أو يخرجون منها أبناءها المسلمين.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [الممتحنة: ١].

فالذين يخرجون المسلمين من أرضهم وينتزعونهم من ديارهم ويقتلعونهم من أوطانهم هم أعداء الله، كما هم أعداء لهؤلاء المسلمين

أصحاب «القضية الوطنية» . . بل إن تكافل الأمة الإسلامية ووحدتها العضوية حول المعتقد، ومن ثم حول المنطلقات والمقاصد والغايات، إن هذا التكافل يفرض على كل أبنائها أن يقفوا موقف العداء من أية قوة تخرج أي جماعة مسلمة من وطنها . . والإخراج من الوطن هنا لا يعني التهجير الاضطراري فحسب، بل يشمل عزل المسلمين عن أن تكون لهم السيادة الفعلية والفعالة في أوطانهم؛ لأنه إخراج لهم من ديارهم حتى ولو كانوا بأجسادهم فيها يعيشون؟! . . إن أية قوة تصنع ذلك بأية جماعة مسلمة، بل بأي مسلم ولو انفرد، هي عدوة لله؛ لأن الإسلام قد رفع العداء في «القضية الوطنية» إلى مرتبة العداء لله، كما جعل القتال في سبيلها قتالاً في سبيل الله . . والله - سبحانه - قد نهانا أن نصادق أعداءنا في «الوطنية» فليس لهم عندنا مودة أو موالاة أو نصر بأي حال من الأحوال.

وفي آية أخرى من آيات القرآن الكريم يحدثنا الله - سبحانه - عن من تجوز مصادقته من المخالفين لنا في الدين؟ وعن من لا تجوز لنا مصادقته من هؤلاء المخالفين؟ . . فإذا نحن مطالبون بألا نصادق ثلاث فئات . .

(أ) الذين يقاتلوننا في الدين، بالحيلولة - بواسطة القتال والصراع العنيف - بيننا وبين حرية الدعوة وأمن الدعاة . . أي يقاتلوننا عداء منهم لحرية الضمير والاعتقاد.

(ب) والذين يخرجون المسلمين أو بعضهم من ديارهم، على أي نحو كان هذا الإخراج، تهجيراً بالاضطهاد، أو عزلاً عن امتلاك

خيرات الوطن والتحكم في مقدراته نتيجة للاحتلال والنهب والاستغلال! . .

(جـ) والذين يظاهرون ـ أي يساعدون ـ مجرد مساعدة على إخراج المسلمين من ديارهم وأوطانهم، على أي نحو كانت المظاهرة والمساعدة في القهر الوطني من هؤلاء لأعداء المسلمين! . .

نعم . . يوجز الله ـ سبحانه وتعالى ـ أوامره تلك، ويلخص لنا وصاياه هذه في قوله:

﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۝ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾

[الممتحنة: ٨ ـ ٩].

فللمسلمين ـ إذن ـ أن يقيموا علاقات البر والمودة مع مخالفيهم في الدين إذا هم لم يفتنوهم بالقتال عن دينهم، ولم يخرجوهم من أرضهم إخراجًا جسديًا أو معنويًا. ولهم أن يقسطوا إلى هؤلاء المخالفين إذا هم لم يصنعوا شيئًا من ذلك. . بل لقد فسر بعض أئمة تفسير القرآن الكريم معنى «القسط» هنا بما هو أكثر من «العدل»؛ لأن العدل واجب على المسلمين دائمًا وأبدًا، مع الموافقين والمخالفين، الأصدقاء منهم

والأعداء . . واجب «فيمن قاتل وفيمن لم يقاتل!» . . وقالوا: إن معنى ﴿وتقسطوا إليهم﴾: «أي تعطوهم قسطاً من أموالكم على وجه الصلة!»[1].

إلى هذا الحد تجب المودة ويلزم البر ويتعين القسط للذين لا يتخذون من أوطاننا وقضيتنا الوطنية موقف عداء . . وفي المقابل ينهانا الله - سبحانه - عن التولي - مجرد التولي - لمن يتخذون موقفاً عدائياً من قضايانا الوطنية، مباشرة كان عداؤهم هذا أو بمجرد مظاهرتهم ومناصرتهم لهؤلاء الأعداء! .

بل لقد بلغ القرآن الكريم بقضية الوطن وعقيدة الوطنية الذروة عندما جعل الحفاظ على استقلال الوطن والدفاع عن حوزته، بشجاعة أهله واستبسالهم، الأمر الذي يحقق للمواطنين المعنى الحقيقي للحياة! . . وبالمقابل جعل الجبن والفرار والتفريط في حرية الوطن واستقلاله موتاً لهؤلاء المواطنين الذين فرطوا في وطنهم وأهملوا مشاعرهم الوطنية . . فهم بفقدانهم استقلال وطنهم أموات في هذا الوطن، حتى وإن كانوا يعيشون ويأكلون ويشربون! . . لأن فقد الاستقلال يساوي ويعني فقد المعنى الحقيقي للحياة! . .

يقرر القرآن الكريم ذلك . . ويضرب عليه المثل من قصص الأولين وتاريخ الغابرين:

---

(١) (الجامع لأحكام القرآن) جـ١٨ ص ٥٩.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ (٢٤٣) وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٤٣ ـ ٢٤٤]

فهم لم ينهزموا من قلة فى العدد، فهم ألوف، وإنما انهزموا من خور وحذر من الموت وضعف أصاب شجاعتهم ووطنيتهم، فخرجوا من ديارهم، فارين مهاجرين، أو معزولين عن حكمها والتحكم فى أمرها والاستمتاع بخيراتها، رغم بقاء أجسادهم فيها. . فكان ذلك بمثابة أمر تكوينى من الله بموتهم! . . فلما ثابوا إلى رشدهم، وتعهدوا عاطفتهم الوطنية بالنماء، فاحتموا بها وتسلحوا بأسلحتها، واستردوا وطنهم واستعادوا استقلاله، كانت لهم الحياة! (ثم أحياهم)؟!.

بل لقد زكت الآية الكريمة ذلك الاستقلال الوطنى، الذى هو الحياة، بوصفها إياه بأنه من «فضل» الله على الناس، وتحدثت الآية التالية لها عن أن صون الاستقلال، والحفاظ على هذه الحياة رهن بالقتال: (وقاتلوا). . ثم جعلت هذا القتال، الذى يستهدف استقلال الوطن وعودة الروح والحياة الوطنية. . جعلته قتالاً فى سبيل الله! . .

تلك هى الذروة التى بلغها الوطن والوطنية فى آيات القرآن الكريم، وتلك هى القدسية التى أضفاها الإسلام على القتال السياسى، لا الدينى، فى سبيل الوطن والوطنية واستقلال الأوطان. . لقد جعل الحياة فى وجودها، كما جعل فى فقدانها الموت والعدم والفناء!

وحتى يطمئن القلب، وتزداد القناعة، ويرسخ اليقين بهذه المعانى التى أشرنا إليها، نقرأ كلمات الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده، تلك التى كتبها عندما وقف أمام هذه الآيات من كتاب الله: «تلك سنة الله ـ تعالى ـ فى الأمم التى تجبن فلا تدفع العادين عليها.. وحياة الأمم وموتها، فى عرف الناس جميعهم، معروف، فمعنى موت أولئك القوم هو أن العدو نكل بهم فأفنى قوتهم، وأزال استقلال أمتهم، حتى صارت لا تعد أمة، بأن تفرق شملها، وذهبت جامعتها، فكل من بقوا من أفرادها خاضعون للغالبين ضائعون فيهم، مدغمين فى غمارهم، لا وجود لهم فى أنفسهم وإنما وجودهم تابع لوجود غيرهم، ومعنى حياتهم هو: عودة الاستقلال إليهم.. إن الجبن عن مدافعة الأعداء، وتسليم الديار، بالهزيمة والفرار، هو الموت المحفوف بالخزى والعار، وإن الحياة العزيزة الطيبة هى الحياة الملية ـ (الوطنية) ـ المحفوظة من عدوان المعتدين.. والقتال فى سبيل الله.. أعم من القتال لأجل الدين؛ لأنه يشمل أيضًا الدفاع عن الحوزة إذا همّ الطامع المهاجم باغتصاب بلادنا والتمتع بخيرات أرضنا، أو أراد العدو الباغى إذلالنا، والعدوان على استقلالنا، ولو لم يكن ذلك لأجل فتنتنا عن ديننا.. فالقتال لحماية الحقيقة كالقتال لحماية الحق، كله جهاد فى سبيل الله.. ولقد اتفق الفقهاء على أن العدو إذا دخل دار الإسلام يكون قتاله فرض عين على كل المسلمين!..»[1].

* * *

(١) (الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده) جـ ٤ ص ٦٩٥ ـ ٦٩٧.

هكذا تناول الإسلام قضية الحرب والقتال والجهاد القتالى . .

* فهو عندما أنكر «الكهانة والكهنوت» أنكر وجود «السلطة الدينية» فى سياسة المجتمعات الإنسانية . . ومن ثم كانت الحرب فيه «سياسة» . . وليست «دينا» . . لأنها إحدى وسائل العمل السياسى فهى امتداد للسياسة، لكن بأدوات العنف فى الصراع ! . .

* وهو عندما قرر أن (لا إكراه فى الدين) نفى ورفض أن يكون القتال سبيلاً لتحصيل «الإيمان»، الذى هو يقين باطنى وتصديق قلبى، لا يتحصل إلا بالإقناع ولا يتحقق إلا بالاقتناع . . ومن ثم نفى ورفض أن يكون هناك قتال دينى لنشر الدين وفرض الإيمان! . .

* وهو عندما جعل «للقضية الوطنية» ـ العيش فى الوطن الحر أحراراً ـ مكانًا عاليًا فى فكره، وفى قرآنه الكريم، حتى كادت أن تكون محور القتال المشروع فيه، إنما كان يرفع من قدر «الوطنية» ويعلى من مكان «الوطن»، ومن ثم يقدس القتال الذى شرعه ودعا إليه سياجًا يصون به المسلمون أوطانهم من الأعداء والطامعين.

وناهيك بفكر يجعل القتال فى سبيل الوطن جهاداً فى سبيل الله؟!.

* * *

شبهة الحرب الدينية

لكن . .

وعلى الرغم من هذا الوضوح، وذلك الحسم اللذين يتحلى بهما موقف الإسلام من هذه القضية: «طبيعة الحرب والجهاد في الإسلام» . . فإن جمهوراً من العامة يظنون أن المسلمين مطالبون، دينيا بمقاتلة مخالفيهم في الدين حتى يؤمنوا بالإسلام، ويكون الدين كله لله . . ومع جمهور العامة، هؤلاء يقف نفر من مثقفي الإسلام ومفكريه! . . الأمر الذي يجعلنا أمام «شبهة»، للحرب الدينية، عالقة بسماء الفكر في عالم الإسلام، لابد من تبديد سحابتها، طلباً لصفاء تلك السماء من الغيوم، ووصولاً إلى تبرئة فكرنا الإسلامي من مثل تلك «الشبهات»! . .

حقًا . . يأمر الله ـ سبحانه وتعالى ـ المؤمنين بالقتال حتى يكون الدين لله، فيقول:

﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَلا عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٩٣].

لكن لننظر إلى السياق الذى جاءت هذه الآية الكريمة فى ختامه، ولنبحث عن سبب نزولها.. وعن «الفعل» و«التطبيق» الذى نهض به الرسول ﷺ والمؤمنون تنفيذاً لهذا الأمر الإلهى بالقتال حتى يكون الدين لله.. لننظر فى ذلك ونبحث حتى يستبين لنا الحق فى هذا الموضوع..

* إن سياق هذه الآية القرآنية يقول:

﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (١٩٠) وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ (١٩١) فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٩٢) وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠ ـ ١٩٣].

فالمطلوب هنا ليس قتال «المخالفين» لنا فى الدين، وإنما قتال «الذين يقاتلون» بين هؤلاء «المخالفين». فحكمة القتال وسببه هو «قتال» هؤلاء المخالفين لنا، «لعدوانهم» علينا، وليس لمجرد «الخلاف لنا فى الدين»!.. ذلك أن الإسلام لا ينهى ـ فقط ـ عن مقاتلة المخالفين لمجرد الاختلاف الدينى معهم، بل إنه يدعو إلى مودتهم والقسط إليهم طالما هم لم يقاتلونا فى الدين!.. فإن هم قاتلونا، واعتدوا علينا، وانتهكوا الحرمات، وجب علينا قتالهم، واستحلال الحرمات التى استحلوا، حتى

ولو كانت الأشهر الحرم والمسجد الحرام.. فذلك جزاء من يصنع ذلك من الكافرين!..

* ثم..! إن هذه الآيات قد نزلت في السنة السابعة من الهجرة، عندما هم المسلمون أن يدخلوا مكة معتمرين «عمرة القضاء»، تلك التي اتفقوا عليها في العام الماضي - عام الحديبية - مع مشركي مكة.. وكان الاتفاق أن يدخل المسلمون مكة معتمرين، لا يحملون من السلاح إلا ما يحمله المسافر «السيوف في القرب» - (الأغماد)!.. ويومها خشي المسلمون غدر المشركين، وتوجسوا خيفة من أن يأخذهم المشركون على غرة، وهم بسلاح المسافر، الذي لا يغني في القتال، وهم في الشهر الحرام - ذي القعدة - والبيت الحرام، حيث لا تحل الحرب ولا يجوز أن تسفك الدماء!..

وأمام مخاوف المسلمين هذه احتاط الرسول ﷺ فجهز السلاح والدروع والرماح، وأعد مائة فرس، جعل عليها محمد بن مسلمة، ؓ، وجعل على السلاح بشير بن سعد ؓ، فأقاموا بعدة القتال هذه على مقربة من الحرم.. وقال الرسول ﷺ: **«يكون قريبًا منا، فإن هاجنا هيج - (دهمتنا حرب) - من القوم كان السلاح قريبًا منا!»**[1].

وأمام تحرج المسلمين من أن يضطروا إلى مقارفة المحظور: القتال في الشهر الحرام بالمسجد الحرام.. نزلت الآيات الكريمة تأمرهم بالقتال في

---

(١) (الأعمال الكاملة لرفاعة الطهطاوي) جـ ٤ ص ٣١٩.

الشهر الحرام والمسجد الحرام، إذا بدأهم المشركون بالقتال وحدث منهم العدوان.. ذلك أن مراد المشركين هو «فتنة» المؤمنين عن دينهم، وهى أشد من القتل وأعظم!.. فالقتال هنا لرد العدوان، وحتى ينتهى المشركون عن عدوانهم، وتمتنع فتنتهم، فيكون الدين والتدين لله، لا للقهر والقسر الذى يفرضه المشركون، بالفتنة والعذاب، على المستضعفين من المؤمنين!.. وبعد أن نزلت هذه الآيات، دخل المسلمون مكة معتمرين، ولم يقع من المشركين عدوان، ومن ثم لم يحدث من المسلمين قتال..

ذلك هو سياق الآيات.. وهذه هى أسباب نزولها.. وعموم حكمها مرتبط بمواجهة العدوان، وعدوان «المشركين» خاصة.. الأمر الذى يمنع من أن تكون تلك الآيات دليلاً على مشروعية الحرب الدينية فى الإسلام!..

أما الحديث الذى يرويه أبو هريرة، ﷺ، عن الرسول ﷺ، والذى يقول فيه: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله تعالى..**»[1].

أما هذا الحديث، والذى يبدو، للعامة وأنصاف المثقفين ثقافة إسلامية، من ظاهر ألفاظه، أنه يدعو إلى مقاتلة المخالفين فى الدين حتى

---

(١) رواه: البخارى، ومسلم، والترمذى، والنسائى، وأبو داود، وابن ماجة، والدارمى، وابن حنبل.

يثوبوا إلى عقيدة التوحيد. . فإن الفقه الحق لمعناه يتطلب ما هو أكثر من النظر العابر لظاهر الألفاظ. .

* فالمراد «بالناس» الذين أمر الرسول ﷺ بقتالهم: «المشركون» من العرب، أولئك الذين كانوا يمنعون ـ بالفتنة والعدوان ـ دعوة الإسلام من أن تتخذ لنفسها القاعدة الآمنة التي ينطلق منها الدعاة، فلا بد لكل دين من دار تعرف تعاليمه فيها طريقها إلى الممارسة والتطبيق، ويتخذ منها دعاته وطنًا يضمن لهم الأمن في ممارسة شعائره والحرية في التبشير بعقائده. . وعندما سلك «الناس» ـ «العرب المشركون» ـ طريق الفتنة والعدوان للحيلولة بين الإسلام وبين أن تكون له قاعدته هذه ووطنه هذا، أمر الرسول ﷺ، بقتالهم حتى لا يكون بأرض العرب دينان. . فلما خلصت أرض العرب للإسلام، فتح الإسلام صدره، خارج تلك الأرض، ضامنًا الحرية الدينية لغير المسلمين!. .

ويشهد لأن المراد «بالناس»، في هذا الحديث، هم «مشركو العرب» خاصة، أن لفظ الحديث قد ورد في بعض الروايات واضعًا لفظ «المشركين» بدلاً من لفظ «الناس» تارة، وواضعًا لفظ «العرب» بدلاً من لفظ «الناس» تارة أخرى!. .

* بل إن إحدى الصور التي روى عليها هذا الحديث تشير إلى أن المقام لم يكن أبدًا مقام إكراه في الدين، ولا جبر ـ بالقتال ـ على أن يقول الناس: «لا إله إلا الله». . إذ تشير تلك الرواية إلى أن الرسول ﷺ، قد ختم هذا الحديث بأن «قرأ:

﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ (٢١) لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ ﴾

[الغاشية: ٢١ ـ ٢٢].

فمنطوق الآية، التى ختم الرسول ﷺ بها الحديث، ومفهومها يقطع ببراءة الإسلام من اتخاذ القتال أداة للإيمان بالتوحيد! . .

* ثم . . ألا يقطع موقف الرسول ﷺ، من مشركى قريش يوم فتح مكة أى شك باليقين؟ . . لقد قال لهم: اذهبوا فأنتم الطلقاء. . ولم يتعقب بالقتل أولئك الذين كانوا يبكون لزوال الأصنام وتحطيمها . . وإنما ترك قلوبهم لتقتنع بالتوحيد بواسطة الإقناع والاقتناع . . فهو مذكر . . وليس بالمصيطر . . ولا إكراه فى الدين! . .

* * *

ومع كل هذا الوضوح . . ورغم تهافت الشبهات في هذا المقام . . فإن بعضاً من مثقفى الإسلام ومفكريه يزعمون أن «النهج الانقلابى» للإسلام يطلب من حزبه ألا يكتفى بالحرب الدفاعية التى تقف عند حماية الدعوة وتأمين الدعاة، فيقول: إن حرب الإسلام هجومية أيضًا: لا ضد المخالفين فى الدين حتى يعتنقوا عقائده، وإنما ضد كل حكومات المعمورة وجيوشها، التى تزيد على المائة والخمسين، وذلك حتى يرتفع سلطان هذه الحكومات عن شعوبها، فتتحقق لهذه الشعوب الحرية فى التدين بالإسلام أو عدم التدين به . . فلا بد من محاربة حكومات المعمورة، وهزيمة جيوشها، وأخذ الجزية من شعوبها ضمانًا لفتح الطريق أمام دعوة الإسلام ودعاته ببلاد تلك الحكومات! . .

أما نصوص هؤلاء المثقفين والمفكرين الإسلاميين، حول هذه الدعوة، فإنها تقول: «. . إن الإسلام فكرة انقلابية ومنهاجاً انقلابياً يريد أن يهدم نظام العالم الاجتماعي بأسره. . ويؤسس بنيانه من جديد. . والإسلام يتطلب الأرض، ولا يقنع بقطعة أو بجزء منها، وإنما يتطلب ويستدعى المعمورة الأرضية كلها. . والجهاد الإسلامى هجومى دفاعى معًا. . والحزب الإسلامى لا يتحرج فى استخدام القوى الحربية لتحقيق غايته هذه[1] . . إن المعسكرات المعادية للإسلام قد يجيء عليها زمان تؤثر فيه ألا تهاجم، إذا تركها الإسلام تزاول عبودية البشر للبشر داخل حدودها الإقليمية. ورضى أن يدعها وشأنها ولم يمد إليها دعوته وإعلانه التحريرى العام!. . ولكن الإسلام لا يهادنها، إلا أن تعلن إسلامها لسلطانه فى صورة أداء الجزية؛ ضمانًا لفتح أبوابها لدعوته بلا عوائق مادية من السلطات القائمة فيها. . .»[2].

ونحن نقول:

إن كون الإسلام فكرة انقلابية، أى نهجًا ثوريًا، يعنى عداءه للظلم ورفضه للواقع الظالم، ودعوته أهله لإقامة العدل حيثما ارتفعت شهادة أن لا إله إلا الله، محمد رسول الله. . لكن ذلك لا يعنى القول بأن الإسلام يطلب أرض المعمورة كلها؛ لأن هذه الدعوة لا تتسق إلا إذا جاز

(١) أبو الأعلى المودودى (الجهاد فى سبيل الله) ص ٢٣ ـ ٢٩ ـ ٥١. طبعة القاهرة ـ ضمن مجموعة ـ سنة ١٩٧٧م.

(٢) سيد قطب (معالم فى الطريق) ص ٨٧. دار الشروق سنة ١٩٨٠م.

تصور انفراد الإسلام، كدين، بهذه المعمورة كلها.. والذى جاء به القرآن الكريم، واتفق عليه مفسروه هو أن حكمة الله ومشيئته قد اقتضت التعدد فى الشرائع الدينية، الناشئ عن تعدد أمم الرسالات السماوية التوحيدية.. ففى القرآن الكريم يقول الله، سبحانه وتعالى:

﴿فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [المائدة: ٤٨]..

والمفسرون لهذه الآية القرآنية المحكمة يقولون: إن «الشرعة والشريعة:

هى الطريقة الظاهرة التى يتوصل بها إلى النجاة.. ومعنى الآية: أن الله ـ سبحانه ـ قد جعل التوراة لأهلها، والإنجيل لأهله، وهذا فى الشرائع والعبادات، والأصل: التوحيد، لا خلاف فيه. ﴿ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة﴾ أى لجعل شريعتكم واحدة ﴿ولكن ليبلوكم فيما آتاكم﴾ أى ولكن جعل شرائعكم مختلفة ليختبركم، والابتلاء: الاختبار!..»[1].

وفى آية أخرى يقول الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (١١٨) إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود: ١١٨ ـ ١١٩].

---

(١) (الجامع لأحكام القرآن) جـ ٦ ص ٢١١.

وأئمة تفسير القرآن الكريم يرون هذه الآية شاهداً على أن اختلاف البشر فى الشرائع الدينية هو الحكمة التى خلقهم الله لها! . .

فهى إرادته، ومن ثم فلا معنى لتصور وحدة فى الشريعة تعم البشرية وتضم أهلها، ومن ثم فلا معنى لاتخاذ السبل لتحقيق هذه الوحدة فى الشريعة . . وذلك فضلاً عن أن تكون تلك السبل عنفًا وقتالاً وجهاداً؟! . .

«فسعيد بن جبير (٤٥ ـ ٩٥هـ ـ ٧١٤م) يرى أن المراد بالأمة الواحدة: «ملة الإسلام وحدها» أى شريعة الإسلام . . » فكون الدين لله ـ إذن ـ لا يعنى إمكانية تحقق سيادة الشريعة الإسلامية والملة الإسلامية أبناء البشرية جميعًا! . .

«ومجاهد بن جبر المكى (٢١ ـ ١٠٤هـ ٦٤٢ ـ ٧٢٢م) وقتادة بن دعامة السدوسى (٦١ ـ ١١٨هـ ٦٨٠ ـ ٧٣٦م) يفسران قول الله فى الآية: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ بحتمية بقاء الناس على أديان ـ أى شرائع ـ شتى. والحسن البصرى (٢١ ـ ١١٠هـ ٦٤٢ ـ ٧٢٨م) وعطاء بن دينار (١٢٦ ـ ٧٤٤م) يفسرون قوله ـ سبحانه ـ ﴿ولذلك خلقهم﴾ فيرون أن «الإشارة للاختلاف، أى وللاختلاف خلقهم!»[١].

فإن كان انفراد الشريعة الإسلامية بأهل المعمورة هو مما أحاله القرآن، فهل من الفكر الإسلامى فى شىء أن نقول: إن الإسلام يطلب المعمورة كلها، ولا يقنع بقطعة أو بجزء منها؟! . .

---

(١) (الجامع لأحكام القرآن) جـ٩ ص ١١٤ ـ ١١٥.

وإذا سالم غير المسلمين عالم الإسلام وأهله، وأطلقوا الحرية أمام الدعوة إليه والتبشير بعقائده، فهل من الفكر الإسلامي في شيء الحديث عن ضرورة الحرب الهجومية على حكومات المعمورة جميعها؟! . .

وألا يكون الأوفق والأجدى أن نتأمل كلمات الإمام محمد عبده:

«لقد كان قتال النبي ﷺ، كله مدافعة عن الحق وأهله، وحماية لدعوة الحق. .»[1].

وكلمات الشيخ حسن البنا (١٣٢٤ ـ ١٣٦٨هـ ١٩٠٦ ـ ١٩٤٩م):

«لقد فرض الله الجهاد على المسلمين، لا أداة للعدوان، ولا وسيلة للمطامع الشخصية، ولكن حماية للدعوة وضماناً للسلم وأداء للرسالة الكبرى التي حمل عبئها المسلمون. . وإن الإسلام كما فرض القتال شاد بالسلام، فقال تبارك وتعالى: ﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾[2] [الأنفال: ٦١].

* وإذا جاز لنا أن نشبه «المجتمع الدولي»، الملتزم بمواثيق المنظمات الدولية التي ارتضتها حكوماته، بمجتمع واحد ومتعاهد ومتعاقد، شأنه شأن جماعة المسلمين مع غير المسلمين في دار الإسلام، من حيث الالتزام بعقد «الذمة» وأمانها . . فهل يصبح، أمام الفكر الإسلامي، مجال

---

(١) (الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده) جـ ٤ ص ٤٩٥.

(٢) حسن البنا (رسالة الجهاد) ص ٨٥. طبعة القاهرة ـ ضمن مجموعة عنوانها «الجهاد في سبيل الله» ـ سنة ١٩٧٧م.

لدعوى الحرب الهجومية على حكومات المعمورة وجيوشها جميعًا، بزعم لزوم هزيمة كل تلك الحكومات وجميع هذه الجيوش، وصولاً لرفع الضغط المادى عن ضمائر شعوب المعمورة حتى تنظر بحرية فى عقائد الإسلام؟!..

* ثم.. ألا يدعونا العقل أن نسأل أنفسنا: هل حربنا لتلك الحكومات وجيوشها هى مما يقربنا ويقرب إسلامنا من قلوب وعقول شعوب تلك الحكومات؟!. أم أن العكس هو الوارد والأكيد؟..

وأن تلك الشعوب ستهب مع حكوماتها وجيوشها ـ التى هى بعض منها ـ لتقف، لا ضد المسلمين فحسب، بل وضد الإسلام الذى ترتفع راياته فوق ميادين تلك الحرب الدينية؟!. إن تخيل مثل تلك الحرب أمر يدعو إلى الرثاء.. نفس الرثاء الذى يدعو إليه فكر دعاتها من مثقفى الإسلام ومفكريه؟!..

* وحتى إذا حكمنا على دول كثيرة فى الأسرة الدولية «بالنفاق» لما بين إعلانها الالتزام بالمواثيق الدولية وبين ممارستها العدوانية من فروق ومفارقات.. فإن السلوك الإسلامى تجاه «المنافقين» لا يصل، فى العنف، إلى حد الحرب والقتال.. «فالمنافقون» الذين يعتزلون قتالنا ليس لنا عليهم من سبيل، فضلاً عن سبيل العنف والحرب والقتال!.. يقول الله ـ سبحانه وتعالى ـ فى شأن المنافقين:

﴿ فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً (٨٨) وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ

كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (٨٩) إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا (٩٠) سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَٰئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا﴾ [النساء: ٨٨ ـ ٩١].

فالذين يكفون الأيدي عن قتالنا، ويلقون حبال السلام إلى عالم الإسلام وأهله، لا سبيل لنا عليهم، أما «المنافقون» الذين لا يكفون أيديهم عن قتال المسلمين فإن «السلطان» الذى قرر الله لنا عليهم يدعونا إلى قتالهم، رداً للعدوان، وتأميناً لعالم الإسلام وحريات المسلمين.. «فالعدوان» أو «المسالمة» هو المعيار، وليس «النفاق» ولا «الخلاف فى الدين»!..

* ثم ليسأل كل مخلص للإسلام نفسه، وليتوجه كل غيور على المسلمين إلى ضميره بهذا السؤال:

أى الأسلحة أمضى فى نصرة الإسلام، وتزيينه فى عقول المخالفين، وتقريبه من قلوبهم. سلاح الحرب والقتال ضد حكومات البلاد المخالفة

وجيوشها ـ وهي التي ستكون بالقطع ضد شعوبها؟؟ . . ـ أم سلاح النهضة الإسلامية ، المؤسسة على الوعي الناضج بحقيقة الإسلام ـ الدين والإسلام الحضارة ـ تلك التي ستحول عالم الإسلام وبلاد المسلمين إلى شاهد صدق على عظمة الإسلام وتقدميته وجدارته بأن يكون الدين الذي تدين به الإنسانية الراشدة، دون سواه؟؟ . .

إن حال المسلمين هو أكبر مطعن يوجهه الخصوم إلى هذا الدين الحنيف . . وإن تغيير هذه الحال ، وتبديل ذلك الواقع ، وإقامة النهضة الإسلامية الحقيقية هي «الحرب» التي لا بد لكل داعية ومفكر إسلامي من أن يستنفر المسلمين إلى خوضها . . ذلك أن تجسيد «النموذج الإسلامي» على أرض عالم الإسلام هو «الجيش» الإسلامي المؤهل «لغزو» قلوب الإنسانية المتحضرة وعقول الأحرار في أقطار المعمورة جميعها . .

أما الحديث عن أن الإسلام يوجب على أهله قتال كل حكومات المعمورة وجيوشها فإنه أقرب إلى «هذيان الضعفاء» ينفسون به عن العجز إزاء القهر الذي يمارسه الطغاة ـ الداخليون منهم والخارجيون ـ إزاء عالم الإسلام وشعوبه . . وهو «هذيان» يسخر منه الواقع الإسلامي بإمكانياته الحالية والمحتملة ، ومن ثم فلا أثر له إلا جلب العداء للمسلمين والنفور من الإسلام! . . وذلك فضلاً عن منافاة فكر دعاة هذه الحرب الدينية لفكر الإسلام الحق في هذا الموضوع! . .

فليس في الإسلام حرب دينية . . لأن القتال لا يمكن أن يكون سبيلاً لتحصيل التصديق القلبي واليقين الباطني ، الذي هو «الإيمان» .

والقتـال في الإسلام سبيل يلجأ إليها المسلمون عند الضرورة . . ضرورة حماية الدعوة وتأمين الحرية للدعاة، وضمان الأمن لدار الإسلام وأوطان المسلمين . . سيان كان ذلك القتال «دفاعيًا تمامًا» أو «مبادأة» يجهض بها المسلمون عدوانًا أكيدًا أو محتملاً . . فهو في كل الحالات صد للعدوان . . أما إذا جنح المخالفون إلى السلم، وانفتحت السبل أمام دعوة الإسلام ودعاته، وتحقق الأمن لدار الإسلام، فلا ضرورة للحرب عندئذ، ولا مجال لحديث عن القتال، باسم «الدنيا» كان ذلك الحديث أو باسم «الدين»! . .

وصدق الله العظيم عندما حدد في كتابه الكريم أن الحروب والقتال إنما هي «للأعداء» الذين يقاتلوننا في الدين، أو يخرجوننا من الديار، أو يظاهرون على هذا الإخراج . . وأن المودة والقسط واجبان علينا لمن لا يقترفون في حقنا جرمًا من تلك الجرائم، حتى وإن خالفونا في الدين:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (١) إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ (٢) لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ

يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٣) قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (٤) رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٥) لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (٦) عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٧) لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٨) إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [الممتحنة: ١ ـ ٩].

❊ ❊ ❊

نصوص فى
الجهاد والقتال

أولا: من القرآن الكريم

ثانيا: من الحديث الشريف

أولاً: من القرآن الكريم

* ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾

[البقرة: ٢١٦].

* ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَّوْ كَانُوا عِندَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١٥٦) وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ (١٥٧) وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾

[آل عمران: ١٥٦ـ١٥٨].

* ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا

بهم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٧٠) يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ (١٧١) الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ (١٧٢) الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣) فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ (١٧٤) إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾

[آل عمران: ١٦٩ ـ ١٧٥].

* ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انفِرُوا جَمِيعًا (٧١) وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا (٧٢) وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُن بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧٣) فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (٧٤) وَمَا لَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا (٧٥) الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي

سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا (٧٦) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلا أَخَّرْتَنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ وَلا تُظْلَمُونَ فَتِيلاً (٧٧) أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ فَمَالِ هَٰؤُلاءِ الْقَوْمِ لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٧٦ ـ ٧٨].

* ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلا تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ (١٥) وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٦) فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ١٥ ـ ١٧].

* ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الأَوَّلِينَ (٣٨) وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٣٩) وَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ [الأنفال: ٣٨ ـ ٤٠].

وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾

[الأنفال: ٥٥ ـ ٦٦].

※ ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلَايَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٧٢) وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ (٧٣) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٧٤) وَالَّذِينَ آمَنُوا مِن بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَٰئِكَ مِنكُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾

[الأنفال: ٧٢ ـ ٧٥].

※ ﴿بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ (١) فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ (٢) وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا

أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣) إِلَّا الَّذِينَ
عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا
فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (٤) فَإِذَا انْسَلَخَ
الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ
وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ
إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٥) وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ
كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ (٦) كَيْفَ يَكُونُ
لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ
فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (٧) كَيْفَ وَإِنْ
يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ
وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ (٨) اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ
سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩) لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ
الْمُعْتَدُونَ (١٠) فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ
وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (١١) وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ
وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ (١٢)
أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ
مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١٣) قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ

اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِن دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾

[التوبة: ١ ـ ١٦].

* ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [التوبة: ٢٠ ـ ٢٢].

* ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٤﴾ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٢٨) قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ [التوبة: ٢٤ ـ ٢٩].

* ﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ [التوبة: ٣٦].

* ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ (٣٨) إِلَّا تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٣٩) إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٤٠) انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن

كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٤١) لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لاَّتَّبَعُوكَ وَلَكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (٤٢) عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ (٤٣) لا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ (٤٤) إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ (٤٥) وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ (٤٦) لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالاً وَلأَوْضَعُوا خِلالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٤٧) لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ (٤٨) وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلا تَفْتِنِّي أَلا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ (٤٩) إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا وَّهُمْ فَرِحُونَ (٥٠) قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (٥١) قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلاَّ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ﴾

[التوبة: ٣٨ ـ ٥٢].

* ﴿ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لا تَنفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ (٨١) فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٨٢) فَإِن رَّجَعَكَ اللَّهُ إِلَىٰ طَائِفَةٍ مِّنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَن تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ (٨٣) وَلا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ (٨٤) وَلا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ (٨٥) وَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُوْلُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُن مَّعَ الْقَاعِدِينَ (٨٦) رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ (٨٧) لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَأُوْلَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٨٨) أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٨٩) وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٩٠) لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلا عَلَى الْمَرْضَىٰ وَلا عَلَى الَّذِينَ لا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

[التوبة: ٨١ ـ ٩١].

* ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١].

* ﴿لَّقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (١١٧) وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١١٨) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ (١١٩) مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (١٢٠) وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

[التوبة: ١١٧ ـ ١٢١].

* ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ (١٤٦) وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (١٤٧) فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦ ـ ١٤٨].

* ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾

[النساء: ٨٤].

* ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٢١) إِذْ هَمَّت طَّائِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١٢٢) وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٢٣) إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ (١٢٤) بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ (١٢٥) وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (١٢٦) لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا خَائِبِينَ﴾

[آل عمران: ١٢١ ـ ١٢٧].

* ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ (٣٨) أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (٣٩) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾

[الحج: ٣٨ـ ٤٠].

* ﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (٥٨) لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلاً يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴾ [الحج: ٥٨ ـ ٥٩].

* ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا (٩) إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا (١٠) هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيدًا (١١) وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا (١٢) وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا (١٣) وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لآتَوْهَا

وما تلبثوا بها إلا يسيرا (١٤) ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار
وكان عهد الله مسئولا (١٥) قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو
القتل وإذا لا تمتعون إلا قليلا (١٦) قل من ذا الذي يعصمكم من الله إن أراد
بكم سوءا أو أراد بكم رحمة ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا
(١٧) قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لإخوانهم هلم إلينا ولا يأتون
البأس إلا قليلا (١٨) أشحة عليكم فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك
تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت فإذا ذهب الخوف سلقوكم
بألسنة حداد أشحة على الخير أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم وكان
ذلك على الله يسيرا (١٩) يحسبون الأحزاب لم يذهبوا وإن يأت الأحزاب
يودوا لو أنهم بادون في الأعراب يسألون عن أنبائكم ولو كانوا فيكم ما
قاتلوا إلا قليلا (٢٠) لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو
الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا (٢١) ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا
هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيمانا وتسليما
(٢٢) من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه
ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا (٢٣) ليجزي الله الصادقين بصدقهم
ويعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم إن الله كان غفورا رحيما (٢٤) ورد
الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله

قَوِيًّا عَزِيزًا (٢٥) وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا (٢٦) وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ [الأحزاب: ٩ ـ ٢٧].

* ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ (٤) سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ (٥) وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾ [محمد: ٤ ـ ٦].

* ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ (٢٠) طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ (٢١) فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ [محمد: ٢٠ ـ ٢١].

* ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ (٣١) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ (٣٢) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم (٣٣) إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم (٣٤) فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم﴾ [محمد: ٣١ـ٣٥].

* ﴿إنا فتحنا لك فتحا مبينا (١) ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما (٢) وينصرك الله نصرا عزيزا (٣) هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم ولله جنود السموات والأرض وكان الله عليما حكيما (٤) ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ويكفر عنهم سيئاتهم وكان ذلك عند الله فوزا عظيما (٥) ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيرا (٦) ولله جنود السموات والأرض وكان الله عزيزا حكيما (٧) إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا (٨) لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلا (٩) إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما (١٠) سيقول لك المخلفون من الأعراب شغلتنا أموالنا

وأهلونا فاستغفر لنا يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم قل فمن يملك لكم من الله شيئا إن أراد بكم ضرا أو أراد بكم نفعا بل كان الله بما تعملون خبيرا (١١) بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبدا وزين ذلك في قلوبكم وظننتم ظن السوء وكنتم قوما بورا (١٢) ومن لم يؤمن بالله ورسوله فإنا أعتدنا للكافرين سعيرا (١٣) ولله ملك السموات والأرض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وكان الله غفورا رحيما (١٤) سيقول المخلفون إذا انطلقتم إلى مغانم لتأخذوها ذرونا نتبعكم يريدون أن يبدلوا كلام الله قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل فسيقولون بل تحسدوننا بل كانوا لا يفقهون إلا قليلا (١٥) قل للمخلفين من الأعراب ستدعون إلى قوم أولي بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون فإن تطيعوا يؤتكم الله أجرا حسنا وإن تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذابا أليما (١٦) ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار ومن يتول يعذبه عذابا أليما (١٧) لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا (١٨) ومغانم كثيرة يأخذونها وكان الله عزيزا حكيما (١٩) وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فعجل لكم هذه وكف أيدي الناس عنكم ولتكون آية للمؤمنين ويهديكم صراطا مستقيما (٢٠)

وأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا (٢١) وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (٢٢) سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا (٢٣) وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِن بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا (٢٤) هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَئُوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِّيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (٢٥) إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (٢٦) لَّقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾

[الفتح: ١ ـ ٢٧].

* ﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾

[الحجرات: ٩].

* ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١٠) مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾

[الحديد: ١٠ ـ ١١].

* ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ (٢) وَلَوْلَا أَن كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ (٣) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٤) مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ (٥) وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٦) مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٧)

﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (٨) وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٩) وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (١٠) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١١) لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ (١٢) لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ (١٣) لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ (١٤) كَمَثَلِ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

[الحشر: ٢ـ ١٥].

* ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾

[الصف: ٤].

* ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝١٠ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝١١ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۝١٢ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

[الصف : ١٠ ـ ١٣].

* * *

ثانيا: من الحديث النبوى الشريف

* قال رسول الله ﷺ: «إن أبواب الجنة تحت ظلال السيوف»[1].

* وقال: «عينان لا تمسهما النار: عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس فى سبيل الله»[2].

* وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال:

ـ أتدرون أول من يدخل الجنة من خلق الله؟..

ـ قالوا: الله ورسوله أعلم!..

ـ قال صلى الله عليه وسلم: أول من يدخل الجنة من خلق الله: الفقراء والمهاجرون الذين تسد بهم الثغور ويتقى بهم المكاره، وإذا أمروا سمعوا وأطاعوا، وإذا كانت لرجل منهم حاجة إلى السلطان لم تقض له حتى يموت وهى فى صدره لا يستطيع لها قضاء. فيقول الله ـ عز وجل ـ لمن

(١) رواه البخارى ومسلم، والترمذى، وأبو داود، وأحمد بن حنبل.

(٢) رواه الترمذى.

يشاء من ملائكته: ائتوهم فحيوهم، فتقول الملائكة: نحن سكان سمائك، وخيرتك من خلقك، أفتأمرنا أن تأتي هؤلاء فنسلم عليهم؟! . . قال: إنهم كانوا عبادًا يعبدوني لا يشركون بي شيئًا، وتسد بهم الثغور ويتقى بهم المكاره، ويموت أحدهم وحاجته في صدره لا يستطيع لها قضاء.

قال: فتأتيهم الملائكة عند ذلك فيدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار. وإن الله - عز وجل - يدعو يوم القيامة الجنة فتأتي بزخرفها وزينتها، فيقول: أي عبادي الذين قاتلوا في سبيلي وقُتلوا، وأوذوا في سبيلي، وجاهدوا في سبيلي، ادخلوا الجنة، فيدخلونها بغير حساب ولا عذاب[1].

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ، قال: «لا يجتمع الشح والإيمان في جوف رجل مسلم، ولا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في جوف رجل مسلم»[2].

* وعن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من جهز غازيًا في سبيل الله - عز وجل - فقد غزا، ومن خلفه فقد غزا»[3].

* وعن صفوان رضي الله عنه قال: «بعثنا رسول الله ﷺ، في سرية، فقال: سيروا باسم الله، في سبيل الله، تقاتلون أعداء الله، لا تغلوا[4]، ولا تقتلوا وليدًا»[5].

---

(١) رواه أحمد بن حنبل. (٢) رواه أحمد بن حنبل. (٣) رواه أحمد بن حنبل.

(٤) أي لا تخونوا.

(٥) رواه الترمذي: وأبو داود، وابن ماجة، والدارمي، وأحمد بن حنبل، ومالك في الموطأ.

* وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: «بعثنا رسول الله ﷺ، في رجب، ولا نكون مائة، فأمرنا أن نغير على حي من بني كنانة، إلى جنب جهينة، فأغرنا عليهم، وكانوا كثيراً، فلجأنا إلى جهينة فمنعونا وقالوا: لم تقاتلون في الشهر الحرام؟! فقلنا: إنما نقاتل من أخرجنا من البلد الحرام، في الشهر الحرام»[1]!.

* وعن جابر رضي الله عنه قال: «قال رجل ـ يوم أحد ـ للرسول ﷺ:

ـ إن قُتلتُ فأين أنا؟

ـ قال: في الجنة.

فألقى ـ [الرجل] ـ تمرات كن في يده، فقاتل حتى قُتل»[2].

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**والذي نفسي بيده لولا أن رجالاً من المؤمنين لا تطيب أنفسهم أن يتخلفوا عني، ولا أجد ما أحملهم عليه، ما تخلفت عن سرية تغزو في سبيل الله ـ عز وجل ـ والذي نفسي بيده لوددت أني أقتل في سبيل الله، ثم أحيا، ثم أقتل ثم أحيا، ثم أقتل ثم أحيا، ثم أقتل**»[3].

---

(١) رواه أحمد بن حنبل.

(٢) رواه البخاري، ومسلم، والنسائي، وأحمد بن حنبل.

(٣) رواه النسائي.

* وعن أبي عميرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لأن أقتل في سبيل الله أحب إلى من المدر والوبر**»(1)(2).

* وعن معاذ بن أنس، عن أبيه - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ، قال: «**لأن أشيع مجاهداً في سبيل الله، فأكنفه على راحلة، غدوة أو روحه، أحب إلى من الدنيا وما فيها**»(3).

* وعن أبي قتادة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ، قال: «**الجهاد في سبيل الله، والإيمان أفضل الأعمال**». فقال رجل: يا رسول الله، أرأيت إن قتلت في سبيل الله أتكفر عني خطاياي؟!.. فقال الرسول ﷺ: «**نعم، إن قتلت في سبيل الله، وأنت صابر محتسب، مقبل غير مدبر - إلا الدَّين. فإن جبريل قال لي ذلك**»(4).

* وسأل رجل رسول الله ﷺ:

- «أي الأعمال أحب إلى الله؟..

- قال: **الصلاة على وقتها**..

- فقال الرجل: ثم أي؟..

- قال الرسول ﷺ: **بر بوالدين**..

---

(1) المدر: الحضر، والوبر: البادية.

(2) رواه أحمد بن حنبل.

(3) رواه ابن ماجة، وأحمد بن حنبل.

(4) رواه البخاري، ومسلم، والنسائي.

ـ فقال الرجل: ثم أي؟ . .

ـ قال الرسول ﷺ: **ثم الجهاد في سبيل الله**»[1].

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رجلاً سأل الرسول ﷺ:

ـ «أي الأعمال أفضل؟ . .

ـ فقال: **الجهاد في سبيل الله . .**

ـ قال الرجل: ثم ماذا؟

ـ فقال: الرسول ﷺ: **ثم الحج المبرور**»[2].

* وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**ألا أخبرك برأس الأمر وعموده؟ وذروة سنامه؟**. فقلت: بلى، يا رسول الله. فقال صلى الله عليه وسلم: **رأس الأمر وعموده: الصلاة، وذروة سنامه: الجهاد**»[3].

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً جاء إلى الرسول ﷺ فقال:

ـ يا رسول الله، علمني عملاً يعدل الجهاد . .

ـ فقال: **لا أجده! هل تستطيع إذا خرج المجاهد أن تدخل المسجد فتقوم، لا تفتر؟ وتصوم، لا تفطر؟!** . .

---

(١) رواه البخاري، ومسلم، والترمذي، والنسائي، والدارمي، وأحمد بن حنبل.

(٢) رواه البخاري، والنسائي.

(٣) رواه الترمذي، وابن ماجة، وأحمد بن حنبل.

ـ قال الرجل: لا أستطيع!..

ـ قال أبو هريرة: إن فرس المجاهد يستن[1] فى طوله فيكتب له حسنات[2].

* وعن أبى سعيد الخدرى ﷺ: «سئل رسول الله ﷺ:

ـ أى الناس خير؟..

ـ فقال: **مؤمن مجاهد بماله ونفسه فى سبيل الله..**

فسئل: ثم من؟

فقال: **مؤمن فى شعب من الشعاب، يتقى الله، ويدع الناس من شره»**[3].

* وعن أبى سعيد الخدرى ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**يا أبا سعيد، من رضى بالله ربا، وبالإسلام دينًا وبمحمد نبيّا، وجبت له الجنة**».

فعجب لها أبو سعيد، فقال: أعدها علىّ يا رسول الله ففعل ثم قال: **«وأخرى يرفع بها العبد مائة درجة فى الجنة، ما بين كل درجتين كما بين**

---

(1) أى يعدو.

(2) رواه البخارى، ومسلم، والترمذى، والنسائى، وأحمد بن حنبل.

(3) رواه البخارى، ومسلم، والنسائى، وأبو دواد، والدارمى، وأحمد بن حنبل.

السماء والأرض». قال أبو سعيد: وما هي، يا رسول الله؟.. قال صلى الله عليه وسلم: «**الجهاد في سبيل الله، الجهاد في سبيل الله**»[1].

* وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**مثل المجاهدين في سبيل الله كمثل الصائم نهاره والقائم ليله حتى يرجع متى يرجع**»[2].

* وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**يؤتى الرجل من أهل الجنة، فيقول له: يا ابن آدم، كيف وجدت منزلك؟.. فيقول: أي رب، خير منزل.. فيقول سل وتمن.. فيقول: ما أسأل وأتمنى إلا أن تردني إلى الدنيا فأقتل في سبيلك عشر مرات، لما يرى من فضل الشهادة**»[3].

* وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**ما من أحد يدخل الجنة يحب أن يخرج منها، وإن له ما على الأرض من شيء، غير الشهيد، يحب أن يخرج فيُقتل لما يرى من الكرامة**»[4].

* وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدر، فقال: يا رسول الله، غبت عن أول قتال قاتلت المشركين، لئن الله

---

(١) رواه البخاري، ومسلم، والترمذي، والنسائي، والدارمي، وأحمد بن حنبل.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه أحمد بن حنبل.

(٤) رواه أحمد بن حنبل.

أشهدني قتال المشركين ليرين الله ما أصنع! فلما كان يوم أحد، وانكشف المسلمون، قال: اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء - [يعني أصحابه] - وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء - [يعني المشركين] - ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ، فقال: يا سعد بن معاذ، الجنة، ورب النضر، إني أجد ريحها من دون أحد!. قال سعد: فما استطعت، يا رسول الله، ما صنع!. قال أنس: فوجدنا به بضعًا وثمانين ضربة بالسيف أو طعنة بالرمح أو رمية بسهم، ووجدناه قد قُتل وقد مثل به المشركون، فما عرفه أحد إلا أخته ببنانه. قال أنس: كنا نرى - أو نظن - أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه:

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣].

* وعن سليمان بن بريدة عن أبيه - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: «**حرمة نساء المجاهدين على القاعدين كحرمة أمهاتهم، وما من رجل من القاعدين يخلف رجلاً من المجاهدين في أهله فيخونه فيها إلا وقف له يوم القيامة، فيأخذ من عمله ما شاء، فما ظنكم**»[1]؟!.

* وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**من قاتل في سبيل الله من رجل مسلم فواق[2] ناقته وجبت له الجنة، ومن سأل الله**

---

(١) رواه أحمد بن حنبل.

(٢) الفواق - بفتح الفاء وضمها - مصدر: زمن يسير مقداره ما بين حلبتي حلبة ضرع الناقة من الزمن.

القتل من عند نفسه صادقًا ثم مات أو قتل فله أجر شهيد، ومن جرح جرحًا فى سبيل الله أو نكب نكبة فإنما تجىء يوم القيامة كأغذ ما كانت، لونها كالزعفران، وريحها كالمسك، ومن جرح جرحًا فى سبيل الله فعليه طابع الشهداء»[1].

* وعن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ثلاث كلهم حق على الله: عون المجاهد فى سبيل الله، والناكح المستعفف، والمكاتب[2] يريد الأداء»[3].

* وقال صلى الله عليه وسلم: «النبى فى الجنة، والشهيد فى الجنة، والمولود فى الجنة، والوئيد فى الجنة»[4].

* وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من قتل أو مات فى سبيل الله فهو فى الجنة»[5].

* وعن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون دينه فهو شهيد، ومن قتل دون دمه فهو شهيد، ومن قتل دون أهله فهو شهيد»[6].

---

(١) رواه أحمد بن حنبل.
(٢) المكاتب ـ بالبناء للمفعول: الرقيق يتعاقد مع سيده على مال يتحرر مقابل سداده له.
(٣) رواه النسائى، وأحمد بن حنبل.
(٤) رواه أبو داود، وأحمد بن حنبل.
(٥) رواه أحمد بن حنبل.
(٦) رواه الترمذى.

* وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «انتدب الله - عز وجل - لمن خرج في سبيله، لا يخرج إلا جهادًا في سبيلي وإيمانًا بي وتصديقًا برسولي، فهو عليّ ضامن أن أدخله الجنة أو أرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه، نائلاً ما نال من أجر أو غنيمة، والذي نفس محمد بيده، ما من كلم[1] يُكلم في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة كهيئته يوم كُلم، لونه لون الدم، وريحه ريح مسك. والذي نفس محمد بيده، لولا أن أشق على المسلمين ما قعدت خلاف سرية تغزو في سبيل الله أبدًا، ولكني أجد سعة فيتبعوني ولا تطيب أنفسهم فيتخلفون بعدي. والذي نفس محمد بيده، لوددت أن أغزو في سبيل الله فأقتل، ثم أغزو فأقتل، ثم أغزو فأقتل، ثم أغزو فأقتل»[2].

* وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «من أنفق زوجين من ماله في سبيل أهل الصدقة دعي من باب الصدقة، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان».

فقال أبو بكر الصديق: والله، يا رسول الله، ما على أحد من ضرورة من أيها دعي، فهل يدعى منها كلها أحد، يا رسول الله؟.. قال: «نعم، وإني أرجو أن تكون منهم»[3].

---

(١) الكلم: الجرح.

(٢) رواه البخاري، ومسلم، والنسائي، وابن ماجة، والدارمي، وأحمد بن حنبل، ومالك في الموطأ.

(٣) رواه البخاري، ومسلم، والترمذي، والنسائي، وأحمد بن حنبل، ومالك في الموطأ.

* وعن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ما يجد الشهيد من مس القتل إلا كما يجد أحدكم مس القرصة»[1].

* وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ما من مسلم يظلم بمظلمة فيقاتل فيقتل إلا قتل شهيداً»[2].

* وقال رسول الله ﷺ: «البس جديداً، وعش حميداً، ومت شهيداً، يرزقك الله قرة عين الدنيا والآخرة»[3].

* وعن المقدام بن معد يكرب أن رسول الله ﷺ قال: «للشهيد عند الله ست خصال: يغفر له أول دفعة من دمه، ويرى مقعده من الجنة، ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويحلى حلة الإيمان، ويزوج من الحور العين، ويشفع فى سبعين إنساناً من أقاربه»[4].

* وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، لما قتل عبد الله بن عمرو بن حرام، يوم أحد، قال رسول الله ﷺ: «يا جابر، ألا أخبرك ما قال الله - عز وجل - لأبيك»؟. قلت: بلى!.. قال: «ما كلم الله أحداً إلا من وراء حجاب، وكلم أباك كفاحاً[5]. فقال: يا عبدى! تمن على أعطيك. قال: يا رب! تحيينى فأقتل فيك ثانية. قال إنه سبق منى: [أنهم إليها

(1) رواه النسائى، وابن ماجة، والدارمى، وأحمد بن حنبل.

(2) رواه أحمد بن حنبل.

(3) رواه ابن ماجة، وأحمد بن حنبل.

(4) رواه ابن ماجة.

(5) كفاحاً: مواجهة. والحديث رواه الترمذى وابن ماجة.

لا يرجعون]! . . قال: يا رب! فأبلغ من ورائى. فأنزل الله - عز وجل - هذه الآية:

﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون ﴾ [آل عمران: ١٦٩].

* وعن أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «أول ثلاثة يدخلون الجنة: شهيد، وعفيف متعفف، وعبد أحسن عبادة الله ونصح لمواليه»(١).

* وعن عتبة بن عبد السلمى ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «القتلى ثلاثة: مؤمن جاهد بنفسه وماله فى سبيل الله، إذا لقى العدو قاتل حتى يقتل.. فذاك الشهيد الممتحن، فى خيمة الله تحت عرشه، لا يفضله النبيون إلا بدرجة النبوة»(٢).

ومؤمن خلط عملاً صالحًا وآخر سيئًا، جاهد بنفسه وماله فى سبيل الله، إذا لقى العدو قاتل حتى يقتل.. مصمصة محت ذنوبه وخطاياه، إن السيف محاء للخطايا، وأدخل من أى أبواب الجنة شاء.

ومنافق جاهد بنفسه وماله، فإذا لقى العدو قاتل حتى يقتل، فذاك فى النار، إن السيف لا يمحو النفاق»(٣).

---

(١) رواه الترمذى، وابن ماجة.

(٢) رواه الترمذى.

(٣) رواه الدارمى.

* وعن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**وفد الله ثلاثة: الغازى، والحاج، والمعتمر**»(١).

* وسأل رجل النبى ﷺ وقال: عندما مر بشعب فيه عيينة من ماء عذبة، فأعجبته، فقال: لو اعتزلت الناس فأقمت فى هذا الشعب؟! فذكر ذلك لرسول الله، فقال له ﷺ: «**لا تفعل، فإن مقام أحدكم فى سبيل الله أفضل من صلاته فى بيته سبعين عامًا، ألا تحبون أن يغفر الله لكم ويدخلكم الجنة؟! اغزوا فى سبيل الله، من قاتل فى سبيل الله فواق ناقة وجبت له الجنة**»(٢).

* وعن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**من لقى الله بغير أثر من جهاد لقى الله وفيه ثلمة**»(٣)(٤).

* وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**من طلب الشهادة، صادقًا، أعطيها ولو لم تصبه**»(٥).

* وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**من رابط ليلة فى سبيل الله ـ سبحانه وتعالى ـ كانت كألف ليلة صيامها وقيامها**»(٦).

* وعن أبى الدرداء رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**غزوة فى البحر**

---

(١) رواه النسائى.
(٢) رواه الترمذى.
(٣) الثلمة: موضع الكسر والخلل.
(٤) رواه الترمذى، وابن ماجة.
(٥) رواه مسلم.
(٦) رواه ابن ماجة.

مثل عشر غزوات في البر ، والذى يسدر [١] فى البحر كالمتشحط [٢] فى دمه فى سبيل الله سبحانه» [٣].

* وعن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «من مات ولم يغز ولم يحدث به نفسه مات على شعبة من النفاق» [٤].

* وعن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ ، قال : «صلوا على كل ميت ، وجاهدوا مع كل أمير» [٥].

* عن عبد الله بن عمر - رضى الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال : «إذا تبايعتم بالنسيئة ، وأخذتم أذناب البقر ، ورضيتم بالزرع ، وتركتم الجهاد ، سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه عنكم حتى ترجعوا إلى دينكم» [٦].

* وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «ما من نبى بعثه الله فى أمة قبلى ، إلا كان من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ، ثم إنها تخلفُ من بعدهم خلوف ، يقولون ما لا يفعلون ، ويفعلون ما لا يؤمرون ، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن . وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل» [٧] !.

---

(١) يميل ويهتز من ارتجاج السفينة .
(٢) المضرج بدمه .
(٣) رواه ابن ماجة .
(٤) رواه مسلم وأبو داود .
(٥) رواه أبو داود ، وابن ماجة
(٦) رواه أبو داود ، وأحمد بن حنبل .
(٧) رواه مسلم .

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لاتقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون، حتى يختبيء اليهودى وراء الحجر، أو الشجر، فيقول الحجر، أو الشجر: يا مسلم، يا عبد الله، هذا يهودى خلفي فتعال فأقتله»(١).

* * *

(١) رواه البخاري، ومسلم، والترمذي، واحمد بن حنبل.

المصادر

١ ـ القرآن الكريم.

٢ ـ ابن أبى الحديد: [شرح نهج البلاغة]، طبعة الحلبى ـ القاهرة ١٩٥٩م.

٣ ـ ابن الأثير (الجزرى): [أسد الغابة]، طبعة دار الشعب ـ القاهرة.

٤ ـ ابن تيمية (الإمام): [منهاج السنة]، طبعة القاهرة سنة ١٩٦٢م.

٥ ـ ابن حنبل (أحمد) (الإمام): [المسند]، طبعة القاهرة سنة ١٣١٣هـ.

٦ ـ ابن ماجة: [السنن]، طبعة القاهرة سنة ١٩٧٢م.

٧ ـ ابن منظور: [لسان العرب]، طبعة القاهرة.

٨ ـ أبو داود: [السنن]، طبعة القاهرة سنة ١٩٥٢م.

٩ ـ الباقلانى: [التمهيد]، طبعة القاهرة سنة ١٩٤٧م.

١٠ ـ البخارى (الإمام): [صحيح البخارى]، طبعة دار الشعب ـ القاهرة.

١١ ـ الترمذى: [السنن ـ الجامع الصحيح]، طبعة القاهرة سنة ١٩٣٧م.

١٢ ـ حسن البنا (الإمام): [رسالة الجهاد]، طبعة القاهرة ـ ضمن مجموعة عنوانها «الجهاد فى سبيل الله» سنة ١٩٧٧م

١٣ ـ الدارمى: [السنن]، طبعة القاهرة سنة ١٩٦٦م.

١٤ ـ الزركلى (خير الدين): [الأعلام]، طبعة بيروت، الثالثة.

١٥ ـ الزمخشرى: [الكشاف]، طبعة بيروت ـ دار الفكر ـ مصورة عن طبعة الحلبى المصرية.

١٦ ـ سيد قطب: [معالم فى الطريق]، طبعة دار الشروق سنة ١٩٨٠م.

١٧ ـ الطبرى (ابن جرير): [تاريخ الطبرى]، طبعة دار المعارف، القاهرة.
١٨ ـ الطهطاوى (رفاعة): [الأعمال الكاملة] دراسة وتحقيق: د. محمد عمارة. طبعة المؤسسة العربية ـ بيروت سنة ١٩٧٧م.
١٩ ـ على بن أبى طالب (الإمام): [نهج البلاغة] طبعة دار الشعب ـ القاهرة.
٢٠ ـ الغزالى: [فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة] طبعة القاهرة ١٩٠٧م.
٢١ ـ القرطبى: [الجامع لأحكام القرآن] طبعة دار الكتب المصرية.
٢٢ ـ مالك (الإمام): [الموطأ] طبعة دار الشعب ـ القاهرة.
٢٣ ـ مسلم: [الصحيح] طبعة القاهرة سنة ١٩٥٥م.
٢٤ ـ محمد عبده، [الأعمال الكاملة] دراسة وتحقيق: د. محمد عمارة ـ طبعة بيروت سنة ١٩٧٢م.
٢٥ ـ محمد عمارة (دكتور):
[العرب والتحدى] طبعة الكويت سنة ١٩٨٠م.
[الإسلام والوحدة القومية] طبعة بيروت سنة ١٩٧٩م.
[الإسلام وفلسفة الحكم] طبعة بيروت سنة ١٩٧٩م.
٢٦ ـ محمد فؤاد عبد الباقى: [المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم] ـ طبعة دار الشعب. القاهرة.
٢٧ ـ المودودى: [الجهاد في سبيل الله] طبعة القاهرة ـ ضمن مجموعة سنة ١٩٧٧م.
٢٨ ـ النسائى: [السنن]، طبعة القاهرة سنة ١٩٦٤م.
٢٩ ـ النويرى: [نهاية الأرب فى فنون الأدب]، طبعة دار الكتب المصرية.
٣٠ ـ وينسنك (أ ـ ى): [المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى الشريف]، طبعة ليدن ١٩٣٦ ـ ١٩٦٩م.

فهرس

الموضوع	الصفحة

رقم الإيداع ٢٠١٢٨/ ٢٠٠٤

الترقيم الدولى I.S.B.N - 977-09-1152-6

الإسلام والحرب الدينية

- هل الجهاد الإسلامى حرب دينية ، لإكراه الآخرين على اعتناق الإسلام؟..
- إن العالم يشتعل اليوم بحرب صليبية شرسة فكرية و مسلحة ـ تفترى على الإسلام، وتدعى عليه ما هو برىء منه .. حتى لقد حدث الخلط بين أمور متباينة مثل : الجهاد.. و الحرب.. و القتال.. و الإرهاب... واختلط المشروع بغيرالمشروع من أدوات التدافع والصراع ..
- ولتصحيح هذه المفاهيم ـ فى ثقافتنا و ثقافة الآخرين ـ يصدر هذا الكتاب .. ليوضح موقف القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة ، والتجربة التاريخية للحضارة الإسلامية من
  - ـ طبيعة الحرب فى الإسلام..
  - ـ والموقف الإسلامى من الحروب الدينية..
  - ـ والابتزاز"الصليبى ـ الصهيونى" الذى يفترى على الإسلام ما ليس فيه..
- إنها رسالة فكرية إسلامية ، تحملها إلى القارئ صفحات هذا الكتاب.


6223002801268